صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثاني عشر • القاهرة فى يوم السبت ٨ ربيع أول سنة ١٣٥٢ — أول يوليه سنة ١٩٣٣ • السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

ذكرى المولد...

فى مثل هذا الأسبوع من مثل هذا الشهر لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة أعلن الله كلمته من جديد ، فى استهلال هذا العربى الوليد !!

وكانت قافلة الحياة يومئذ جائرة السبيل حائرة الدليل خائرة العزيمة ، والعالم الانسانى يكابد فى هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية ترهق الجسد . وكانت الولاية عليه فى ذلك الحين لأعقاب من الروم شفهم الفسوق والترف ، واخلاف من الفرس هدهم الغلول والطمع ، والناس عدا هؤلاء وأولئك أوزاع وهمج . . اللهم إلا شعباً نبيل الفطرة اعتصم بالصحراء من هذا الفساد الشامل ، فما عبث بضميره سلطان ، ولا عدا على خلقه طاغية ... نشأته الطبيعة على سجاياها المرسلة ، وراضته على نظمها المحتومة ، وصفّاه والانتخاب الطبيعى ، بالغزو المتلاحق والدفاع المتصل ، فاودى بضعيفه ، وأبقى على قويه ، حتى لم يدم على أديم الجزيرة إلا سيف صارم ، وفرس جواد ، ودارع بطل ! ثم تنخل من هذه الصفوة الباقية فى القرن السادس أمة وسطا تحمل فى قوة الحيوية ، وكمال الرجولة ، وصفاء الحس ، المثل الأعلى للانسان الأعلى (سوبرمان)

تلك هي الأمة العربية التي اختارها الله لقيادة شعوبه الحائرة ،

واختار منها محمدا لتبليغ رسالته الاخيرة ...

* * *

بين إيوان كسرى وبلاط القيصر اهتز مهد العربي اليتيم فى أرض مكة ! فتصدع لهزته الايوان ، وتطامن لهيبته القصر !! وكأنما هتف بالعاهلين العظيمين من جانب الغيب هاتف : « اليوم ينتهي تاريخ ويبتدىء تاريخ ! ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد ! إنما العبادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !! »

* * *

وبين عرش القيصر وعرش كسرى انتصب منبر النبي الكريم فى سماء « المدينة » ! فتضاءل لجلاله عرش ، وتقوض لدعائمه عرش ! ثم انبثق نوره القدسي فى مجاهل البدو ومعالم الحضر ، كما يتبسم الأمل فى قطوب اليأس ، وتومض المنارة فى ظلام المحيط !

هنالك ظهرت الوحدانية على الوثنية ، والغيرية على الانانية ، والانسانية على العصبية ، والاسلام على الجاهلية ، ثم عرف الانسان قدر الانسان ، وادركت النفوس جمال الاحسان ، ووجدت قافلة الحياة طريقها القاصد !

* * *

كان العالم يقاسي حين ولد محمد بن عبد الله تفكك الخلق ، وتحلل الرجولة ، وضياع المثل الأعلى ، فكان اكلما فى حياة (الأمين) هذه الصفات النوادر : خلق عظيم شهد به الله ، ورجولة كاملة خضع لها الناس ، ودين يجمع الي سعادة الدنيا سعادة الآخرة ، ورسالات الرسل انما تعالج بظهورها الفساد الذى استشرى فى العالم ، والداء الذى استفحل فى الناس . فاذا كانت معجزة الرسول فى القرآن ، فان مجده فى الخلق ، وفوزه بالرجولة . والشعوب المختلفة التى صهرتها شخصية العرب ، وطبعتها ثقافة العرب ، لم تصل الى الأخاء والوحدة الا على مناهجه وهديه . !

* * *

ظهر رسول الله والعرب أشتات من غير جامع ، وهمل من غير رابط ، وأحياء من غير غرض ، فاضت فى نفوسهم الحياة ، وزخرت فى صدورهم القوة ، فصرفوا هذا النشاط العجيب الى نزاع لاينقطع ، وصراع لايفتر . فحمل اليهم وحده رسالة الله لايسنده سلطان ، ولا يؤيده جيش ، ولا يمهد له مال ، فنفروا منها نفور الوحش المروّع ! ثم رأوا فيها سيادة لأسرة ، وخضوعا لقانون ، وخروجا على عرف ، فقابلوها بالعناد وعارضوها بالحجاج ودافعوها بالكيد . آذوا الرسول فى أهله وفى صحبه وفى نفسه ، فما وهن عزمه ولا لانت قناته . وانما قابل الأذي بالصبر ، والسفه بالحلم . والفظاظة بالرقة ، وهذا هو الخلق ؛ ثم قارع الجدال بالتحدى ، والمكابرة بالسيف ، وهذه هي الرجولة : وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر محمد وحده على العرب ! وبذلك الخلق وهذه الرجولة انتصر العرب بعده على العالم !

* * *

فلينظر اليوم شعب محمد واتباع محمد ماذا فى نفوسهم من دينه . وفى اخلاقهم من خلقه ، وفى ايديهم من تراثه ؟ ؟ فان وجدوا ان دينهم أصبح رسما محيلا فى نفوس الخاصة ، وأثرا مشوها ضئيلا فى نفوس العامة ، وان اخلاقهم فقدوها يوم فقدوا الحرية ، واضاعوها يوم اضاعوا الملك ، وان تراثهم أصبح نهبا مقسما بين شذاذ الشعوب وذؤبان الأمم ، فليفيقوا من النوم ، وليخففوا عن القدر اللوم ، فان الله لايظلم الناس مثقال ذرة ! ومن عاند طبيعة الحياة فقتل فى نفسه الطموح ، وفى فكره التجدد ، وفى عمله الابتكار ، ورضى ان يكون فى الدنيا كالآثر فى المتحف ، انما يدل على ملك باد وشعب انقرض ، كان يسيرا عليه ان يدع دينه للمبشرين ، ووطنه للمستعمرين ، ثم يقعد مقعد الخوالف يتحسر على المجد المفقود ، ويتعلل بالأماني الكواذب !!

* * *

ان ذكري مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من اسر الاوهام ، وطغيان الحكام ، وسلطان القوة ، وتحكم الجهالة . فما أجدر النفوس الذاكرة الحرة على اختلاف منازعها أن تخشع اجلالا لذكرى رسول التوحيد والوحدة ، ونبي الحرية والديمقراطية ، وداعية السلام والوئام والمحبة !! وما اخلق الزعماء الذين يحاولون اليوم توحيد العرب من جديد ، أن يتخذوا مناهجه سبيلا الي هذا العمل المجيد !!

احمد حسن الزيات

لغـــو الصيف

للدكتور طه حسين

من هنا يا آنسة ؟ من هنا ؟ ثم أشار الى مائدة منعزلة كأنما هيئت لقوم يريدون الخلوة واعتزال الناس . فلما انتهيا اليها أعجبهما مكانها الجميل على شاطىء النيل فى ظل هذه الشجرة الضخمة الباسقة ، قد مدت أغصانها فى قوة الى أمام ، حتى إذا تجاوزت بها الشاطىء حنتها نحو المـاء ، وغمستها فيه كأنما تريد أن ترتشف منه ، ونظر الصديقان من حولهما فلم يريا أحدا ، ومد الصديقان بصرهما أمامهما وأطالا النظر الى النيـــل وهو يجرى من تحت أقدامهما فى قوة الشاب وهدوء الحكيم ، ثم جلسا ، وقال الرجل لصاحبته : هنا يحسن الحديث . قالت : ويحسن الصمت أيضاً . وقد ظهرت على وجه صاحبها علائم تدل على أنه لم يفهم عنها ما أرادت اليه ، وأحست هى منه السؤال الذى لم ينطق به . فقالت وكأنها تجيب . ان تحدثنا تساقينا موسيقى الحوار ، وإن سكتنا تساقينا نجوى الضمائر ووحى القلوب . وانا فى كلتا الحالين لذة ، ولنا فى كلتا الحالين متاع ، فخذ بأيهما شئت . قال فأيهما تريدين ؟ قالت لا أريد شيئاً إلا أن نترك أنفسنا على سجيتها . فان انطلقت ألسنتنا سمعتها آذاننا ، وان آثرت نفوسنا الحديث الصامت وعته قلوبنا . قال وهو يضحك : أيسر من هذا كله وادنى الى التناول أن نتساقى ما يبرد الغليل ، ويرد عنا حر هذا القيظ ، ثم دق يدا بيد فى شىء من الرفق ، فاقبل الخادم وتلقى عنه أمره وانصرف

وكان هو طويلا نحيفاً ، ظاهر النشاط ، خفيف الحركة ، مكتمل القوة ، لا يظهر عليه ما يدل على سنه إلا خيوط بيض متفرقة قد أنتثرت فى شعر رأسه إنتثاراً . وكان عذب الصوت ، حازم اللهجة ، معتدل الحديث ، ولعله كان الى الابطاء فيه واصطناع الاناة ادنى منه الى الاسراع والتعجل ، وكان صوته يمتد من حين الى حين ، لا غضباً ولا تحمساً ، ولكنه كان مقتنعاً بما يقول ، فكانت حدة صوته ولينه يمثلان حظه من الايمان والاقتناع بما يقول .

وكانت هي ربعة ، ممتلئة الجسم ، مستقيمة القد ، معتدله القامة ، وكان وجهها مشرقا شديد الاشراق ، منسقا بديع التنسيق ، تمر به من حين الى حين سحابة رقيقة جداً ، من حزن لا يكاد يتبينها إلا من اعتاد أن يلقاها ويطيل صحبتها والتحدث اليها ، وكانت هذه السحابة الطارئة لا تمر بها وهى تتحدث ، إلا قطعت عليها الحديث فجأة ، ثم لا تلبث أن تزول فيتصل الحديث ، ولا تمر بها وهى تسمع إلا لهت عن محدثها لحظة ثم تزول ، وإذا هي ترفع الى محدثها طرفا فيه شىء كثير جداً من الحياء والاشفاق ، وتستعيده ما قال فى صوت عذب ، ولفظ حلو ، يحسن مسه للآذان ووقعه فى القلوب . وكان صوتها هادئاً عريضاً يمثل نفسا هادئة غنية ممتلئة بالعواطف الخصبة والشعور الحى والعلم الغزير .

وكأن الفرصة أرادت أن ترضى حاجتها الى الصمت ، وحاجة صديقها الى الكلام ، فقد أقاما صامتين لحظة غير قصيرة ينظران الى سعى النهر امامهما ، كأنهما ينتظران شيئاً ، وكأنهما يلهوان بالنهر وسعيه الهادىء القوى عما يضطرب فى نفوسهما من الخواطر والآراء ، ومن العواطف والاهواء ، حتى إذا أقبـــل الخادم فهيأ المائدة وصف أكوابه وأطباقه ، وانصرف راضياً عن نفسه مبتسما لضيفيه ، نظرت هى الى صاحبها كأنها تسأله أن يبدأ الحديث فقال : وقد فهم عنها ما كانت تريد ، لسنا فى حاجة الى أن نبتدىء الحديث ، وما علينا إلا ان نأخذه حيث تركناه حين انتهينا الى هذا المكان الهادىء الجميل . قالت فان هدوء هذا المكان وجماله قد انسانى حدة ما كنا فيه من حوار ، واضطراب ما كنا نتبادل من رأى . فلننظر القضية من أولها . فلعل هذا الهواء الطلق وهذا المنظر الحلو ، وهذا السكون الساكن ، أن تكون قد ردتك الى شىء من الصواب وصدتك عما كنت فيه من جموح . فما أرى إلا أنك تظلم الأدب والأدباء جميعاً ، وتقسط على الشبان والشيب . وكم أحب لك أن تكون سمح النفس ، رضى الطبع ، مستعداً لشىء من التجاوز ، تعذر طيش الشباب ، وترفق بحدة الشيوخ . قال فاحب ان أعلم اين الشباب واين الشيب ، ومتى يكون الأديب شابا ، ومتى يكون الأديب شيخا . فهذا حديث طريف لم أسمع به فى مصر قبل هذه الأيام ، ولقد رأيت الأدباء منذ عرفت الأدب ينشئون النثر ويقرضون الشعر على اختلاف اسنانهم وتفاوت حظوظهم من القوة والضعف ، فلا يختصمون فى شباب ولا شيخوخة ، وإنما يختصمون فى الرأى ويختصمون فى الفن ، يعين بعضهم بعضا ، ويدافع بعضهم بعضا ، لا يعتز الشيخ على الشاب بتجاربه وكثرة ما انتج من الآثار ، ولا يعتز الشاب على الشيخ بحداثته وقوته ، ونضرة شبابه ، واتساع الايام امامه ، وانبساط الآمال له . قالت لم تر ذلك من قبل ولكنك قد رأيته الآن . فاى غناء فى أن تنكر

شيئاً حدث الآن لأنه لم يحدث من قبل، وأى فرق بينك وبين عامة الناس الذين يضيقون بالجديد ، لا لشيء إلا لأنهم لم يألفوه ولم يطيلوا عشرته

إن فى الشباب نزوعا الى الفوز ، وطموحا الى الظفر ، وتعجلا لاتساع الشهرة وبعد الصوت ، وكل هذا طبيعى ، وكل هذا مألوف لأنه يلائم فطرة الشباب واخلاقهم ، فلا تنكره عليهم ، ولا تصرفهم عنه ، فانى أخشى إن يفت ذلك في اعضادهم ، وان يضعف من نشاطهم ، وان يرد جذوتهم هذه الجميلة الى الخمود . قال لقد كنا شبانا كما كانوا ، وكان لنا من رفاقنا فى الادب أساتذة قد سبقونا الى الحياة وتقدمت بهم علينا السن ، واخذوا من التجارب العلمية والفنية بحظوظ لم نأخذ بمثلها ، فما حسدناهم ولا انكرناهم ، ولا جاهدناهم ولا قصدنا الى المكر بهم والكيد لهم ، وإنما كنا نقفو آثارهم ونسمع لنصائحهم ونستعذب احاديثهم ، ولاماننا كنا نحس ما بينهم وبيننا من خلاف ، فلم يكن ذلك يغرينا بهم ، ولا يصرفنا عنهم ، وانك لتذكرين كم كنا نستعذب احاديث حفنى ناصف ، وكم كنا نحرص على ان نروى عنه كل ما كان يحدثنا به من هزل القول وجده . وانك لتذكرين انا كنا ننصرف عنه بعد الجلسة الطويلة معجبين به محبين له ، ثم لا نلبث ان نستعيد ما سمعنا منه فننكر بعضه ونعرف بعضه الآخر ، ولا يمنعنا ذلك من ان نتعجل عودته الى القاهرة آخر الاسبوع لنلقاه فنسمع منه ونتحدث اليه . وما خطر لك ولا خطر لي ولا خطر لواحد من أصحابنا ان ينكر حفني ناصف لأنه كان شيخا . ولأننا كنا من الشبان ، او يلوم حفنى ناصف ، لأنه سبقنا الى الحياة والانتاج ، فسبقنا الى الشهرة وبعد الصوت. إنما كنا نستعينه على ان نكون خيرا منه ، وكان يعيننا على ذلك راضيا به مبتسما له راغبا فيه . قالت : فانى أحب لكم معشر الشيوخ ان تكونوا كحفنى ناصف وأمثاله من أساتذتكم ، لا تضيقون بابنائكم ان ثاروا او تمردوا او لعبت برءوسهم نزوات الشباب . هنا قال صاحبها فى شيء من الغضب الضاحك : ومن زعم لك أنى شيخ ، هذا شيء لا أقره ولا ارضاه . قالت وهى مغرقة فى الضحك ، وما يعنيني ان تقره او لا تقره ، وان ترضاه أو لا ترضاه ، فانت شيخ سواء أردت أم لم ترد . ألست قد انفقت أكثر من ربع قرن تنشيء الرسائل وتنشر الفصول وتذيع الكتب ؟ أليس قد اختلف اليك أجيال من الشباب فقرأوا ما كتبت ، وسمعوا لما قلت، وتأثروا بهذا وذاك ، فمنهم من ذهب مذهبك، ومنهم من ذهب مذهب فلان أو فلان من اصحابك ، فكن شيخا او لا تكن ، فانت أب على كل حال ، ماذا أقول ؟ بل أنت جد . فلم يختلف اليك جيل واحد وإنما اختلفت اليك أجيال ، ولم تتخرج عليك طبقة من الكتاب ، وانما تخرجت عليك طبقات . ولست أدرى ماذا يغيظك من الشيخوخة ، وماذا يسوؤك منها ؟ ولم تكره ان يراك الناس كما انت ؟ بل لم تكره أن ترى نفسك كما أنت ، ولم تريد ان تطمع فى غير مطمع ؟ وتطلب ما لا سبيل اليه ؟ فليس التصابى من الاشياء التى تحب أو يرغب فيها الرجل المحتشم ، وقد عرفتك رجلا محتشما. فاجعل نفسك حيث أراد الله أن تكون ، قال فى لهجة ماكرة وصوت عابث : فانت شيخة إذن ، فقد كتبت الكتب واذعت الرسائل ، ودبجت الفصول ، منذ عشرين سنة ، قالت بل منذ خمس عشرة سنة . قال بل منذ عشرين . قالت لم أكن أكتب حين شبت الحرب . قال بل كنت تكتبين ، وانى لزعيم أن اذكرك بعض ما كتبت قبل أن تشب الحرب . قالت فاني لم اكن قد بلغت الخامسة عشرة . قال لا أقول انك شيخة فى السن ، ولو قلت ذلك لكذبني ما أرى وما اسمع . فعلا وجهها احمرار شديد ، ومست يده فى رفق كأنما تريد أن تضربه . وهى تقول : متى تدع هذا العبث . ومضى هو فى الحديث . فقال : أنت على نضرة شبابك شيخة فى الادب .

قد كتبت منذ زمن طويل ، وعلمت اجيالا مختلفة من الشباب وتخرجت عليك طبقات مختلفة من الكتاب . قالت تعال نتفق . لسنا شيخين ولا شابين ، وإنما نحن شيء بين ذلك وانت ادنى الى الشيخوخة وأنا ادنى الى الشباب . قال ولا هذا . فلا بد من ان نتفق على معنى الشيخوخة فى الادب ، فليس يكفى أن نكون قد اصطنعنا الادب منذ زمن طويل ، وأثرنا فى أجيال مختلفة من الكتاب لنكون شيوخا ، وليس من الحق ان كل أب شيخ ، ولا أن كل جد شيخ . فقد نكون آباء ، وقد نكون أجداداً ، ولكننا على ذلك لسنا شيوخاً . إنما الشيخوخة ضعف . وما أرى إلا أن الشيخ هو الذي أخذه الضعف ، وبلغ منه العجز والفتور ، فاضطر الى العقم ، وحيل بينه وبين الانتاج . افترين انا قد انتهينا الى هذه الحال؟ انك تكتبين فى كل يوم، وانى اكتب فى كل يوم . والناس يقرأون لك ويقرأون لي ، والناس يعجبون بك ويرضون عن بعض ما أكتب . قالت بعض هذا التواضع ، ولكنه مضى فى الحديث فقال : وما زالت آمالك وآمالى فى الادب أبعد من ان تحد ، وأوسع من ان تحصر ، وما زلنا نتم الفصل او الكتاب .

(البقية على صفحة ٤٠)

الكيف لا الكم

للاستاذ أحمد أمين

روي ان ابن سينا كان يسأل الله أن يهبه حياة عريضة وان لم تكن طويلة، ولعله يعني بالحياة العريضة حياة غنية بالتفكير والانتاج، ويرى انهذا هو المقياس الصحيح للحياة،وليس مقياسها طولها اذا كان الطول في غير انتاج، فكثير من الناس ليست حياتهم الا يوما واحداً متكرراً، برنامجهم فى الحياة أكل وشرب ونوم، أمسهم كيومهم، ويومهم كغدهم، هؤلاء انعمروا مائة عام فابن سينا يقدره بيوم واحد، علي حين انه قد يقدر يوما واحداً — طوله أربع وعشرون ساعة — بعشرات السنين اذا كان هذا اليوم عريضا فى منتهى العرض، فقد يوفق المفكر فى يومه الى فكرة تسعد الناس أجيالا أو الى عمل يسعد آلافا، فحياة هذا — وان قصرت — تساوى أعمار آلاف بل قد تساوى عمر أمة، لأن العبرة بالكيف لا بالكم.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وتقدير الاشياء بالكيف لا بالكم منزلة لا يصل اليها العقل الا بعد نضوجه. أما الطفل فى نشأته،والامة فى طفولتها فاكثر ما يعجبهما الكم، فالريفي عنده خير «الخيار» ما كبر حجمه وبيع بالكوم، والمدني خير «الخيار» عنده ما نحف جسمه وكان «كالقشة» ويبع بالرطل. والطفل وأشباهه يرغبون بكثرة العدد لا بجودة الصنف، فحيثما مررت فى الشارع أو زرت متجراً رأيت اكثر الترغيب بالكم «فاربعون ظرفا وجوابا بتعريفة»، و«دستة اقلام رصاص بصاغ»، وهكذا، وسبب هذا ان البيع والشراء يعتمدان على ادق قوانين علم النفس، والباعة من اعرف الناس بهذه القوانين التى تتصل بعقلية الجمهور، فهم يعلمون انهم اكثر تقويما للكم، واكثر انخداعا بالعد، فهم يأتونهم من نواحي ضعفهم وموضع المرض منهم، وقل ان يرغبوهم فى الشيء بانه من «العال» أو «عال العال» لان هذا تقدير للكيف وليس يقدره الا الخاصة.

وكل انسان قد مر بدور الطفولة، والامم جميعها مرت كذلك بهذا الدور فعلق باذهانهم تقدير الكم ولم يستطيعوا ان يتحرروا منه مهما ارتقوا، وأصبحوا — حتي الخاصة منهم — ينخدعون بالكم من غير شعور وبلا وعي،وصار هذا مرضا ملازما، انما يتحرر منه الفلاسفة والى حد، ألا ترانا نري الرجل الضخم حسن الهيئة جميل الطلعة فنمنحه الاحترام، ولو لم نعرف قيمته، ونرى الرجل صغير الجسم غير مهندم الثياب فنحتقره لأول وهلة من غير ان نعرفه، واساس معاملتنا بالاجمال احترام ذوى المظاهر الجميلة حتى يثبت العكس، واحتقار ذوى المظاهر الوضيعة حتى يثبت العكس، وايس ذلك الا من خداع الكم، ولو انصفنا لوقفنا على الحياد من الجميع حتى نتبين الكيف.

ونرى ذا العمامة الكبيرة واللحية الطويلة فنعتقد فيه العلم والدين، مع ان لا علاقة بين كبر العمامة وطول اللحية، وبين العلم والدين، وان كان ثمت علاقة فعلاقة الضدية، لان الدين محله القلب والعلم موطنه الدماغ، واذا ملىء القلب دينا والدماغ علما، احتقر المظهر وابى ان يدل على دينه او علمه بمظهر خارجي، بل هو ان امتلأ دينا وعلما انكر على نفسه الدين والعلم، واعتقد انه ابعد ما يكون عما ينشده من دين وعلم، وكذلك الشان فى اللباس الجامعي واللباس الكهنوتي.

وقديما ادرك العرب خداع الكم فقالوا: «ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل».

وقال شاعرهم:

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطرير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطرير

وفي كل شأن من شؤون الحياة وضرب من ضروب العلم والفن ترى خداع الكم، ولنأخذ الادب مثلا

فالمؤلفون يعلنون عن كتبهم أنها فى أربعمائة صفحة - مثلا - من القطع الكبير، والمتعلمون كثيرا ما باهوا بكثرة ما قرءوا، والكتاب بكثرة ما كتبوا، والصحافة كثيراً ما خدعت القراء بالكم. فكان مما اصطنعته زيادة عدد الصفحات فى الجرائد والمجلات مع أن الصفحات وحدها كم، ولا قيمة لها ما لم يصحبها الكيف، وكم أتمني أن أرى جريدة أو مجلة ترغب قراءها بالكيف فقط، وإن كنت أجزم بان مصيرها الفشل لأن اكثر الناس لم يمنحوا - بعد - ميزان الكيف

وقد جرت كثرة الصفحات في الجرائد والمجلات الى تحوير الاسلوب الى ما يناسبها، فكان الاسلوب احيانا كالعهن المنفوش، يصاغ في صفحة، ما يصح ان يصاغ فى عمود، وفي عمود ما يصح ان يصاغ فى سطر - ولست ادري لم كان الناس إذا ارسلوا تلغرافا

تخيروا اوجز الألفاظ لأغزر المعانى، ولم يفعلوا شيئا من ذلك فى كتبهم ورسائلهم ومقالاتهم؟ ولعلهم يفعلون ذلك لأن الكلمات فى التلغراف تقدر بالقروش وليس كذلك فيما عداها - إن كان هذا هو السبب دل على تقدير القرش اكثر مما يقدر زمن القارىء والكاتب، وفى هذا منتهى الشر، وفى هذا اقسى مثل لغفلة الناس فى تقدير الكم لا الكيف

وقديما عرض علماء البلاغة للكيف والكم فى الأدب وسموهما اسما خاصا هو الايجاز والاطناب، وعدوا الايجاز اشرف الكلام والاجادة فيه بعيدة المنال لما فيه من لفظ قليل يدل على معنى كثير، ومثلوا للايجاز والاطناب بالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة، فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها، ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها، ولا يعدل عن الايجاز الى الاطناب إلا لايضاح معنى أو تأكيد راي.

والحق ان الادب العربي في هذا الباب من خير الآداب، فاكثر ما صدر فى عصوره الاولى حبات من المطر تجمعت من سحاب منتشر، او قطرات من العطر استخلصت من كثير من الزهر

وبعد، فلست احب ان تكون كتابتنا كلها تلغرافات، وإذن لعدمنا ما للاسلوب من جمال، وما لتوضيح الفكرة وتجليتها وتحليتها من قيمة، وإنما اريد ان يكون المعنى هو القصد وهو المقياس فان أطنبنا فللمعنى، وإن اوجزنا فللمعنى

واريد ان يقوم الناس الكيف للكيف، وإذا قدروا الكم فللكيف

ولعل من ألطف ما كان، اني حين بلغت هذا الموضع من مقالتي اخذت اعد صفحات ما كتبت، فوجدتها قليلة العدد فآلمني ذلك لأني لم ابلغ ما حزرت ان يكون، ولانى خشيت ان يستصغرها صاحب «الرسالة» وقراء «الرسالة»، وفرحت بهذه الملاحظة لانها سدت فراغا ما فى المقالة يكمل بعض ما فيها من قصر، ألسنا جميعا عباد (كم)، أو ليس هذا من نوع تقدير الخيار بالكوم؟



الشعر المرسل ايضا

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

نشرت الرسالة ترجمتين لقطعة من رواية «عطيل» الشهيرة، إحداهما نثر والأخرى شعر مرسل، وقد حاولت أن أعرف رأى الأصدقاء فى أوقع الترجمتين فى نفوسهم أهى الترجمة الأولى أم الثانية. وكان رأى الكثرة أنه الشعر المرسل. على أن بعضهم استدرك فى قوله، فقال إن الذى يقرأ السطر الواحد من الشعر المرسل ثم يقف فى آخره ينتظر ما اعتاد انتظاره من انتهاء المعني يشعر بالمضاضة، و يقبح فى عينه ذلك الأسلوب.

ولكنه إذا قرأ ذلك الشعر المرسل على سجيته فلم يقف الا حيث يقف به المعني وجده قولا سائغاً لا قبح فيه.

وها أنذا أعرض على القارىء صفحة من رواية صغيرة لى بها علم وهى فى شعر مرسل. وقف فيها رجل غجرى يحاول إلانة قلب فتاة من جنسه جامحة العاطفة معرضة عنه، وهي تجيبه إجابة تمنع ودلال.

الفتي: جرحت فؤادى
بدلال يثير فيّ لهيباً
فأعيدى سعادتى وأعيدى
بسمات الرضا أعيدي حياتي

الفتاة: (ضاحكة ساخرة)
ليت قلبى يسير طوعى سميعاً
فيلبى نداء كل شفيع.
ان قلبى له هواه فيمضى
حيث شاء الهوى جموحاً عنيداً.

الفتى: كنت (ميسون) سلوتي وحياتى
فاذكرى عهدنا القديم وعودى
لفؤادى الجريح ياميسون.

الفتاة: (بعناد)
ان ماء العيون يحلو جديدا
وجمال الغرام أن نتولى
كفراش الربيع بين الزهور

الفتى : (بتذلل)

أنت روحي.وكيف أحيا وحيدا؟
فانظري لي ببسمة لأداوي
مهجتي —

الفتاة : (جامدة) إنه كلام ثقيل

الفتى : (غاضباً)

ويل نفسي — أما بصدرك قلب؟

الفتاة : (ضاحكة)

لا تحاول نوال حبي رجاء
لاينال الهوى بدمع وشكوى
إنما الحب آمر ليس يعصى
يأخذ القلب قاهراً منصورا .

. . .

ولعل القارىء اذا اتبع نصيحة ذلك الصديق فقرأ ذلك القول كما يقرأ النثر واقفاً عند نهاية المعاني وجد فيها ما يقبله ذوقه .

هذا وقد عرضت لى ترجمة بارعة لقصة أخرى من قصص شكسبير ، وهى ترجمة أستاذنا المفضل محمد بك حمدى ناظر مدرسة التجارة العليا ، وقد كانت ترجمة حلوة بديعة دقيقة فى نثر حلو ممتع، واتفق أن قطعة من تلك القصة كانت كذلك مترجمة فى شعر مرسل ، فرأيت أن اتبع الموازنة الأولى بموازنة ثانية ، لعل ذلك يكون أفسح فى التدليل وأقوى إعانة على صدق الحكم .

وتلك القطعة المختارة هى فى الموقف المشهور الذى وقفه انطونيوس يرثى قيصر بعد مقتله ، وفيه استطاع تحويل رأى العامة من الحنق على قيصر والعطف على قاتليه الى الثورة للثأر له والانتقام من أعدائه .

ترجمة الاستاذ حمدى بك

انتوني : أيها الاخوان . أيها الرومان . بني وطني . اعيروني اسماعكم فاني ما جئت للتمدح بقيصر ومناقبه ، ولكن لاواريه لحده واهيل عليه التراب . فقد جرينا على أن ما يعمل الانسان من شر يخلفه ، وما يعمل من خير يرمس معه فى غمار الرمم ولفيف الرفات ، وهذا شان قيصر معنا اليوم نتناسى مناقبه ونعدد معايبه ، قال لكم بروتاس وهو رجل الشرف الصميم : أن قيصر طماع فان كان كذلك كان ذنبه يوجب الأسى والاسف كما كان جزاؤه ادعى للحزن والشجن ، إني أقف بينكم الآن في جناز قيصر باذن من بروتاس وهو رجل النبل والفضل وباذن من زملائه الآخرين وكلهم مثله أجلاء نبلاء ، ولكن قد كان لي في قيصر صديق حميم وبر كريم ، لم أعهد فيه الطمع الذى يرميه به بروتاس رجل الفضل والشرف ، أتاكم قيصر بالاسرى مكبلين

الترجمة الأخرى فى شعر مرسل

أيها الروم ياصحابى وقومى
انصتوا ساعة لبعض مقالى .
لست آتى أصوغ قيصر مدحا
بل لأسعى مشيعا لرفاته .
انما تخلد الذنوب وتبقى
بعد ما خاضها على حين تثوى
حسنات الماضين بين القبور
فليكن حظ قيصر مثل هذا .
قد سمعتم (بروت) وهو كريم
قال ياقوم إن قيصر طاغ
ولئن كان ما يقول صحيحا
كان هذا لا شك وزراً كبيرا
نال من أجله جزاء أليماً .
فلندع ذكر ذلك ـ انى مدين
لبروت وصحبه إذ أجازوا
أن أقوم الغداة أرثى صديقى
فبروت كما علمتم كريم
وذووه كما عرفتم كرام :
كان نعم الصديق خلا وفيا
لا . ولكن بروت ينقم منه
أنه طامع حريص وانتم
قد عرفتم بروت شهما نبيلا .
إنه قد أتى باسرى جموعا

فملأت دياتهم بيت المال ، فهل كان فى عمله هذا ما ينبيء عن طمع . كان قيصر يبكى شفقة ورحمة كلما ذرفت الفقراء دموع الفاقة والاملاق ، وعهدى بالطماع أخشن طبعاً وأغلظ كبداً ، ولكن بروتاس يقول انه طماع وبروتاس كما تعلمون رجل الفضل والشرف . ألم تروا انى عرضت عليه التاج ثلاث مرات فى (لوبركال) فكان يرفضه فى كل مرة ؟ فهل كان هذا لطمع فيه ؟ ومع ذلك فان بروتاس يقول أنه طماع وبروتاس رجل الفضل والشرف . لا أريد أيها السادة أن أدحض دليـــل بروتاس ولا أن أقارعه الحجة بالحجة ، وإنما أنا أقول ما اعرفه من الحق الصراح . لقد كنتم كلكم تحبون قيصر حباً جماً فهل كان ذا من غير داع وبلا مسوغ ؟ إذن ما الذي يمنعكم الآن أن تقيموا عليه شعار الحداد ؟ يا للعدالة ! لقد أويت الى قلوب الوحوش الضاربة فغادرت الانسان جباراً عتياً فاقد الرشد والصواب عفواً سادتي أن قلبي مدرج مع قيصر فى أكفانه فأمهلونى حتى يرتد إلي .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

وحبانا فداهم أموالا
ملأت بالغنى خزائن روما .
أبهذا ترون قيصر يطغى ؟
كان والحق إذ يصيح فقير
يسبل الدمع رأفة ولعمرى
إن قلب الطغاة عات صليب .
غير اني أقول هذا وانتم
قد سمعتم بروت وهو كريم
قال قد كان طامعا جباراً .
أرأيتم تلك الغداة وانا
يوم عيد (الخصيب) إذ قد شهدتم
كيف قدمت نحوه التاج أرجو
لو تلقاه بالقبول ثلاثا
فأباه ـ أكان ذلك حرصاً ؟
لا ولكن بروت قد قال حقاً
إنه طامع . ولا شك فيه
فبروت كما علمتم شريف
ولئن قلت ما علمت فاني
لست فيه مكذبا لبروت .
أيها الناس كان قيصر منكم
فى ثنايا القلوب وهو جدير .
فلماذا أرى العيون صلابا
جامدات . وفيم هذا الجفاء ؟
لاه ! قد أصبح الرجال سواما
منذ طارت أحلامهم وكأنى
بوحوش الغلاة أرجح عقلا .
أى رفاق لا تعذلوني وعفوا
إن تعديت فى المقال . فانى
ضاع لبي وضل عنى فؤادى
فغدا عند نعش قيصر رهنا .
فدعونى حتى الاقي فؤادي .
أنظرونى حتى يعود جناني .

ولعلي أستطيع أن اسأل من لم أسأل من الأصدقاء بعد لأعرف رأيهم فى هذه البدعة الأدبية أهي وسيلة صالحة أم هي مدخل الى العبث والاسفاف ؟ فان كان من الأدباء من يراها صالحة رجوت أن يبعث لنا منها قصة غنائية أو ملحمة بارعة بعد أن يكون قد فاض عليها من جمال روحه وروعة عبقريته .

م. ف. ابوحديد

بين بريسكا[1] وتوفيق الحكيم

بريسكا : اني أبغضك . أبغضك من أعماق قلبي .
ت . الحكيم : استغفر الله ! لماذا يا سيدتي ؟ ما جنايتي ؟
ب : وأحتقرك كما أحتقر غالياس .
ت : لاحظي يا سيدتي قبل كل شيء أن ليست لي لحية غالياس !
ب : قل لي أنت قبل كل شيء : ماذا عليك لو انك أبقيت لي مشلينيا ؟ . . لو ان قلمك تمهل لحظة صغيرة ولم يقصف تلك الحياة قبل أن يحضر غالياس وعاء اللبن . . . ! ماذا كسبت أنت من موت مشلينيا قبل الأوان ؟ لحظة واحدة صغيرة كانت كافية لانقاذ الفتى . . لكنك ضننت بها ايها القاسي الظلوم !
ت : لست قاسيا يا سيدتي ولا ظلوما . ولو كنت أملك أمر بقاء مشلينيا دقيقة واحدة لأبقيته لك عن طيب خاطر .
ب : لو كنت تملك ؟ ومن غيرك يملك ؟ !
ت : لا تحمليني يا سيدتي هذه التبعة .
ب : جميل أن يتنصل خالق من تبعة خلقه كل هذا التنصل !!
ت : ما أظلم الانسان ! وما أحوج المبدعين الى الرحمة والرثاء في هذا الوجود !
ب : نحن الظالمون وهم المظلومون ! شيء بديع !
ت : انكم تحملونهم التبعات وترمونهم بالظلم وهم براء من كل صفة من الصفات . فلا ظلم ولا عدل ، ولا قسوة ولا حنان ، ولا غضب ولا رضى ، تلك عواطف لا يعرفونها ولا يشعرون بها . ولو أصغى إله لصوت آدمي لانحل الكون في طرفة عين . كما تنحل قصة أهل الكهف لو اني أصغيت الى شخص واحد من أشخاصها ! فأنت تريدين أن أؤخر موت مشلينيا دقيقة . ولا تعلمين أن هذه الدقيقة الواحدة كانت كفيلة أن أن تغير وجه القصة وتقلب مصير الأشخاص وتاتي عناصر الفوضى في العمل كله . كلا يا سيدتي . اني لم أرد موت مشلينيا ولم أرد بقاءه . ولم أحب ولم أكره . ولم أظلم ولم أعدل . ان المبدع لا يمكن أن يخضع لغير قانون واحد : « التناسق » .
ب : هذا كلام تبرر به قسوتك .
ت : أنت يا سيدتي لا تعرفين ما مهنة المبدع ! ثق ان كلمة « قسوة » لا معنى لها في تلك المهنة .
ب : أنت كائن لا يمكن أن يفهمني ولا يمكن أن يفهم الحب .
ت : لا أفهمك ، هذا صحيح . أما اني لا أفهم الحب فهذا غير صحيح .
ب : هل أنت تفهم الحب ؟
ت : قليلا .
ب : هل أحببت في حياتك . . ؟
ت : أيتها الاميرة . لا أسمح بالكلام في شئوني الخاصة .
ب : معذرة . انما أردت أن أعرف كيف فهمك للحب ؟
ت : ماذا تريدين أن تعرفي . أحب الخالق وهو روح التناسق . أم حب المخلوق . . ؟
ب : حب المخلوق . . حب القلب . . الحب ما أريد . صدقت ما دمت أنت خالقا وأنا مخلوقتك فان بيننا تلك الهوة . . فأنت لا تنظر إليّ بعين خاصة . ولا تعرفني معرفة خاصة . ولا تتصل بي اتصالا مباشراً . إنما تنظر إليّ كعنصر من عناصر الكل المتسق . تنظر إليّ بعين ذلك القانون الذي تحكي عنه ، و ينبغي أن تكون مخلوقا مثلي وعنصراً أو جزءاً مثلي حتي يكون بيننا ذلك الارتباط الخاص وذلك الالتفات الخاص . فهبك كذلك وهبني أحببتك فهل تحبني ؟
ت : يالك من ذكية ماهرة !
ب : أجب . إذا أحببتك . . . ؟

(١) بريسكا شخص من اشخاص رواية (اهل الكهف) التي الفها الاستاذ توفيق الحكيم وهي حبيبة مشلينيا

ت : ومشلينيا ؟
ب : دعنا الآن من مشلينيا .
ت : إذا أحببتنى ؟ . . أنا . . ؟
ب : نعم .
ت : انى أخشى هذا الحب .
ب : لماذا ؟
ت : لأنك لن تحبينى .
ب : من أين لك العلم ؟
ت : هل رأيتنى ؟ انى لا أشبه مشلينيا فى شىء . فليست لى فتوته ولا جماله ولا قوامه ولا ذراعاه ولا شفتاه . . .
ب : ولا قلبه ؟
ت : أتردد قبل أن أجيب . قد يكون لى قلبه . لكن ثقي اني اذا شقيت فى هذا الحب فانى لا أذهب الى الكهف ولا أموت جوعا . أولا ليس عندي كهف أموت فيه . وان وجدنا الكهف فلسنا واجدين الشجاعة والصبر عن أكل الشواء والدجاج يوما واحداً . . .
ب : إذن ليس لك حتى قلبه !
ت : نعم وا أسفاه !
ب : إذن مايصنع مثلك لو شق فى هذا الحب ؟
ت : يذهب الى كهف من كهوف النبيذ فى مونمارتر . . ويؤلف قصصاً تمثيلية .
ب : مرحى ! . مرحى . . !
ت : لاتغضبي أيتها العزيزة بريسكا .
ب : أهذا فهمك للحب ؟
ت : ماذا تريدين ؟ انا لسنا قديسين !
ب : أنتم مبدعون ! . . كنت أحسبكم خيراً من هذا !!
ت : كذلك قال غالياس يوما فيما أذكر عن القديسين الثلاثة اذ خالطهم وحادثهم . ألا تذكرين ؟
ب : كنت أظنك على الاقل خيراً من غالياس المسكين فهماً للحب !!
ت : يشق على أن يخيب ظنك فىّ ياعزيزتي !
ب : عزيزتك ! كلا . لست أسمح لك . انك تخاطبنى كما لو كنت تعرفنى من قبل . أو كما لو كنت لى بعلا !!

ت : حقيقة أيتها الاميرة . ليس لى هذا الشرف .
ب : تستطيع أن تنصرف يا هذا .
ت : أنصرف الى أين أيتها الاميرة . . ؟
ب : أتسألنى ؟ الى حيث كنت . . الي سمائك . .
ت : أين هى هذه السماء ؟ فى دمنهور ؟ أو فى قهوة « جراسمو » ؟ ما أكثر أوهامكم أيتها المخلوقات !
ب : نعم ما أكثر أوهامنا . . وتخيلاتنا . . وخيبة آمالنا ! . .
ت : ذلك انكم تريدون أن تخضعوا كل شىء لخيالكم أنتم .
ب : صدقت . انا نتمثل القديسين والآلهة كما تصورهم لنا عقولنا . .
ت : ثقى أن لو كشف المجهول يوماً لأعين البشر لصاحوا كلهم بكلمتك التى لفظتِ الساعة : « كنا نحسبه خيراً من هذا . . ! »
ب : ربما . .
ت : ذلك انهم سيرون المجهول شيئاً لا علاقة له بعقلهم، ولا بخيالهم، ولا بمنطقهم، ولا بعواطفهم، ولا ببشريتهم . .
ب : انا مخلوقات . ماذا نريد من مخلوقات ؟ انا لانستطيع أن نخرج من أنفسنا لنفهم ونرى شيئاً غير أنفسنا .
ت : ومع ذلك فان لهذه المخلوقات كنزاً لايوجد عند الآلهة .
ب : القلب .
ت : نعم .
ب : اني أؤمن بما تقول . فما أنت ذا خالق من نوع تافه . . ليس لك القلب الذى لمشلينيا . . !
ت : أعترف اني أقل شأناً من حبيبك .
ب : ومع ذلك فقد اجترأت يدك على إطفاء حياته الجميلة . . .
ت : عدنا الى الاتهام .
ب : انى أبغضك .. أمقتك .. أبغضك من أعماق قلبى . .
ت : سبحان الله ! أقسم أن لا فائدة من مناقشة امرأة تحب .

أدب القوة وأدب الضعف

للاستاذ محمود الخفيف

أحس إذ اتناول هذا الموضوع أني بين عاملين : عامل الحياء وعامل الفخر . أما الحياء فاول دواعيه أن أعقب أنا الصغير على مقال أستاذنا العلامة احمد امين . وأما الفخر فحسبي أن يقرأ لي الاستاذ سطوراً قد تحظى برضاه في موضوع كهذا يعنيه .

يرى الاستاذ « أن الشاعر الجيد هو الذى يثير العواطف بقدر،ويبنيها على أساس عميق » ويرى أن الأدب فى العصر العباسى كان أدبا ضعيفاً.إن أنت حصرته وجدته بين باك ومادح ومستهتر، ثم يرى أن عود الأديب الشرقى على نحو عود المغني الشرقى أشجى أغانيه احزنها ، وخير نغماته أبكاها .

وعلى ذلك يسمى الاستاذ ذلك النوع من الأدب الباكى الذي يتعمق فى أثارة العواطف أدباً مائعاً،وذلك الأدب الذى لا يثيرها إلا بقدر أدباً قوياً ، فهل يسمح لى الاستاذ أن أتجرا فأقلب هذا الوضع ، فاسمي ذلك الأدب الوجدانى الحاد الذى يبالغ في اثارة العواطف أدبا قويا ، وذلك الأدب الذى لا يمت الى العاطفة بصلة قوية أدباً جافاً أو مائعاً ؟

أرى الأنغام الوجدانية الحادة أساس الأدب الحاد،ولن يكون الأدب الحاد مائعاً ، وأرى العبارات الخالية مما يثير العواطف أو التي تثيرها بقدر أساس التفكير العقلى ، والخطوة الأولى نحو الفلسفة « القوية » ولن تكون الفلسفة القوية أدبا قويا ، وعلى ذلك فما يسميه الاستاذ أدبا مائعا هو فى الواقع أدب قوي،وأما ما يسميه أدبا قويا فهو فلسفة قوية .

والأدب والفلسفة شيئان : فالأدب لغة القلب ، والفلسفة لغة العقل ، والانسان إنما يبدأ بقلبه فيفرح أو يبكى ويحب أو يبغض ويرضى أو يغضب ويأمل أو ييأس ويثور أو يهدأ حسب مايحس من عواطف ، فان كان لابد من تخفيف حماسته ، فليكن ذلك بشىء من حدة عقله ، ولكنى لا أرى تجريده من ذلك الحماس ولا أحسب ذلك ممكنا ، إذ ما القلب بغير حماس ؟ ثم ما الأدب بغير عاطفة ؟

وإذا اشتدت العاطفة فكيف يكون الأدب مائعاً ، وكيف تشتد العاطفة إلا إذا اشتدت بواعثها؟وإذا ما اشتدت بواعثها فما القوة إن لم تكن القوة فى إظهارها قوية رائعة ؟

أن الانسان بطبعه عسوف عنوف ، لا يسكن إلا لعجز ، ولا يرتدع إلا من خوف ، ولا يعفو إلا عن ضعف ، ولا يقنع إلا مضطراً ، ولو أطلق له العنان لكان شره مستطيراً ومكره خطيراً بيد أنه على غلظته لا يخلو قلبه من عواطف نبيلة ، ولكنها خامدة، وميول خيرة ولكنها كامنة ، ولذلك فهي فى حاجة الى الابانة والتنبيه ، والأدب الوجدانى الحاد يخاطب القلوب فيهزها ويستثير ما كمن فيها من نبل فيبعثه ، ولذلك كان هو عماد المصلحين ودعاة الانسانية ، فانك ان تخاطب الانسان فى منطق وفى عبارات جافة فقلما يصغى اليك،وان استمع فقليلا ما يعى ، وإن أنت بدأت بقلبه فهززته فى رفق وألنته بأنغام قيثارتك ثم أهبت به فقد يهوى اليك .

تحدث شكسبير عن تأثير الموسيقى فى النفوس فبدأ بالعجماوات فقال ما بال تلك الوحوش الكاسرة تسمع أناشيد الموسيقى فتقعى متراخية وتظهر كأنها مأخوذة حائرة ؟ وما بال ذلك العدد المضطرب من الخيل الجامحة يسمع الموسيقى فيهدأ فجأة ويسير فى نظام كأنما تذهب الأنغام ثائرته وتسحره عن نفسه .

والأدب الوجدانى موسيقى النفس،وموقفه من القلوب البشرية الفطنة موقف الموسيقى الحسية من تلك الخلائق الهائمة الثائرة ، فهو الذى ينفذ الى القلب ويختلط بالنفس فيلائم بين ذراتها وينظم موجاتها . ويقلل من عنف الانسان وجبروته فيجعله رقيقا وادعاً .

ولا تثريب على الشاعر،أو القصصى،أن يبكى فيبكى عيونا تكاد أن تتحجر ، ويفتح آذاناً ضربت عليها المطامع المادية ويهز قلوباً كانت لا تحفل دعاء أو تجيب رجاء .

وهو أن بكى على نفسه فغير ملوم،فانما ينطق بما يحس،وبذلك ينفس عن قلبه وقد تخفق قلوب معه وتهوى أفئدة اليه ، وها هو ذا البارودى الفارس يقول :

أ فى الحق أن تبكى الحمائم شجوها
ويبلى فلا يبكى على نفسه حر ؟
وماذا عليهم إن ترنم شاعر
بقافية لا عيب فيها ولا نكر ؟

وهو في بكائه غير ضعيف ، بل أن حدة عواطفه لتنهض دليلا على قوته ، وإلا فما أضعف جيته ولا مرتين وهوجو وأبا فراس والمعرى وغيرهم ممن ضربوا على أوتار حزينة باكية !

ولقد بكى هؤلاء فى شبابهم أعني فى أيام قوتهم وبكوا لقوة احساسهم ونبالة قصدهم وجمال انسانيتهم .

ومن البلية أن يسام أخو الأسى رعى التجلد وهو غير جماد

وليس من الضرورى أن يكون الشعر المتناهى فى وصف ما يلاقى المحب من عذاب غير مؤسس على عاطفة صحيحة ، لأن

مثل هذا الشعر يكون ترجمة لاحساس الشاعر فما دام انه محب فله أن يعبر عما يحس، وليس لنا أن نتهمه فى ذلك بضعف، بل أنه يكون ضعيفا حقاً ان هو أحس عذاباً من وراء حبه ثم لم يستطع الافصاح عنه.

ولم يكن الأدب العباسى ضعيفاً، لما جاء فيه من بكاء ومديح واستهتار، فان الأدب فى كل عصر صورة لذلك العصر، فاذا عبر أدباء العباسيين عما يحسون فلم نتهمهم بالضعف؟ وإذا كان أدبهم حزيناً باكياً يتخلله المديح والاستهتار فكيف كان يتسنى لهم أدب غيره، وإذا هم تطاولوا فى غير عزة وتفاخروا في غير فخر وضحكوا فى غير مزح، افما كنا نتهم ادبهم بأنه سقيم زائف أو بعبارة أخرى ضعيف مائع؟

ثم أن الضعف السياسى لا يستلزم أن يكون وراءه ضعف فى الأدب، بل لقد يكون الضعف السياسى ذاته سببا قوياً من أسباب قوة الآداب، كما يحدث عند انقسام الدول الواسعة كما كان الحال فى القرن الرابع، وكما كان الحال عند الاغريق فى مدنهم الحكومية وكما كان الحال فى النهضة الايطالية الحديثة.

وليت شعرى لم لا يكون بكاء الشعوب على ما يصيبها قوة واستنهاضاً للهمم؟ هزمت فرنسا فى حرب السبعين وخرجت ألمانيا متفاخرة بالنصر، فخاطب أحد أدباء الفرنسيين الألمان الظافرين بقوله « نعم قد انتصرتم علينا ولكن ليس لديكم شاعر يشيد بنصركم كشاعرنا هذا الذى يبكينا على مصابنا فهل كان بكاء الفرنسيين فى ذلك الوقت ضعفاً؟ اللهم لا.

وأما ما جاء عن مصعب بن الزبير حين استخفه الطرب، وعن استخفاف المنصور به لذلك حتى جعله يتمثل بتلك الأبيات التى أوردها الاستاذ، فاقول أن مصعبا كان متغزلا وأن المنصور كان متفاخراً وشتان بين الموقفين، فهذا تستملح فيه الرقة واللين وذلك لا يليق فيه إلا الصرامة والشدة. وإذا كان فى كلام مصعب ضعف فماذا يكون فى كلام الرشيد وهو يخاطب جارية بهذا البيت:

أما يكفيك أنك تملكينى وأن الناس كلهم عبيدى؟

وبعد فيعجبنى من الاستاذ قوله أن أرقى الأدب فى نظره ما احيا الضمير، وزاد حياة الناس قوة، وهذا فى رأيى هو الأدب الوجدانى القوى، هو ذلك الأدب الذى يرقق القلوب، ويستثير الهمم، ويطهر النفوس، هو ذلك الأدب الذى يجعل من الشيخ شاباً فتياً، وهو ذلك الأدب الذى يملأ المحاجر بالدموع والقلوب بالشفقة والحنان؟

فلسفة سبينوزا

للاستاذ زكى نجيب محمود

لم يكد سبينوزا يبلغ سن الشباب، حتى انكب على الفلسفة يدرسها دراسة صادفت فى نفسه هوى. فأخذ ينهل من مواردها العذبة، ويؤثرها على كل شيء. وقد طالع فيما طالع فلسفة برونو فوقعت منه آراؤه موقع الاعجاب، وامتلأ ذهنه بما قاله ذلك الفيلسوف من: أن الوجود في جوهره وحدة متجانسة، وان تعددت ظواهرها. اذ نشأت جميعها من أصل واحد، ثم اتخذت الوانا مختلفة لا تغير من جوهر طبيعتها المتجانس.

كذلك اعجبه رأى برونو المذكور القائل بأن الروح والمادة شيء واحد، فكل ذرة من ذرات الكون يتحد فيها الجانبان: الروحى والمادي، وعنده ان موضوع الفلسفة هو ادراك تلك الوحده التى تربط هذه الأشتات المتضاربة فى الظاهر فترى الروح فى المادة، كما تلمس المادة في الروح.

ثم قرأ سبينوزا فلسفة ديكارت قراءة درس وتمحيص، فدعاه الى التفكير الطويل رأى ديكارت فى تقسيم الكون الى شطرين: شطر مادى متحد فى الجوهر على الرغم مما يبدو فى الأجسام المادية من اختلاف، وشطر روحى متجانس فى جوهره كذلك، وهو عبارة عن مجموع القوى العقليه الحالة فى مختلف الأجسام، وتدير هذين الشطرين وتشرف عليهما قوة الهية عليا... قرأ سبينوزا ذلك فلم يوافق على شطر الكون، واختمرت في نفسه على الفور فكرة وحدة الوجود التى تقول بأن الكون شطر واحد لا يتجزأ، وهذه الفكرة هى المحور الذى تدور حوله فلسفة سبينوزا، وها نحن أولاء نتناولها بالشرح والتحليل.

يقول سبينوزا ان فى الكون حقيقة واحدة خالدة، هى عبارة عن قانون عام شامل لاينقص ولا يزيد. هذه الحقيقة الخالدة، أو هذا القانون الشامل، لا يمكن ان يعبر عن نفسه و يفصح عن حقيقته الا بواسطة الاجسام المادية، فاتخذ من تلك المادة التي تملأ جوانب الكون، قوالب وأشكالا لكى يبرز عن طريقها الى عالم الواقع المحسوس، وهذه الصور والأشكال المادية التي تتخذ وسيلة للتعبير عن ذلك

القانون الخالد ، لا تظل على هيئة خاصة معينة ، فهى متغيرة متبدلة أبداً ، بل قد تزول وتفني ، ولكن تلك الحقيقة نفسها باقية خالدة لاتفني ولا تزول ، بل لاتنقص ولا تزيد ، وهى لاتفتأ تلبس هذا الثوب المادى وتخلع ذاك الى أبد الآبدين . ذلك كما تقول ان للدائرة قانونا لايتغير ، يخضع لناموسه كل ماوجد أو يوجد من الدوائر ، وان كانت الدوائر نفسها تمحى وتتجدد ، الا ان قانونها يظل باقياً لايعتريه التبدل أوالفناء . فاجسامنا، وأفكارنا وهـــذه الأرض التى نعيش عليها ، وكل ما يحتوى الكون من أشياء ، كل ذلك صور مختلفة تستخدم لابراز الحقيقة الكائنة وراءها . والتى لا يمسها معنى من معاني التغيير والتبديـــل ، انما القوالب المادية وحـــدها هى التي تخضع لذلك التبديل والتغيير .

فالطبيعة على هـذا الاساس مزدوجـة الجوانب ، فهي فعالة حيوية منشئة من ناحيـة (قارن ال Elan vital فى فلسفة برجسون) وهى منفعلة متأثرة منشأة من ناحية أخرى ، هـــذا الجانب المنفعل المتأثر من الطبيعة : هى اجزاؤها المادية ، هي هذه الجبال والبحار والمزارع والرياح وما الى ذلك من الصور المادية التى لايحدها الحصر ، أما الجانب الفعال المنشىء فهى تلك القوة الكامنة وراء هـذه الصور المادية ، وهى التى خلقتها خلقا وأبدعتها ابداعا ، أو بعبارة أوضح هو الله عز وجل . . . ويقصد سبينوزا بكلمة « الله » ذلك القانون الثابت الذي لا يجوز عليه التغيير أو الفناء ، تلك القوة الفعالة التى تنظم الكون وتباشر ترتيب ما يطرأ من أحداث على المادة التى تملأ جوانب الكون . ولولا تلك القوانين العامة التي يسير بمقتضاها العالم ، لتداعي الكون بعضه على بعض ، مثل ذلك مثل الجسر (الكوبرى) ، فهو فى حد ذاته كتلة من المادة ، ولكنه مشيد على أساس من القوانين الرياضية والميكانيكية ، التي وان تكن مختفية لا تظهر بشكل محسوس ، فى مادة الجسر ، الا أنها كامنة فيه ، ولو اختل واحد منها انهار البناء على الفور . فالعالم المادى بمثابة ذلك الجسر ، والله سبحانه وتعالى من هـذا العالم بمثابة تلك القوانين التي لا ترى ولكنها لا تنكر .

وعلى هذا الاعتبار تكون ارادة الله وقوانين الطبيعة شىء واحد ، وكل ما يقع من حوادث عبارة عن النتيجة الآلية المحتومة لتلك القوانين الدائمة ، أى أنها ليست عبثا ولا فوضى . فهذا العالم تسيره تلك الارادة العليا ، وليس مخيرا فى كثير ولا قليل مما يفرض عليه فرضا ، وليس له عن تنفيذه محيد . والانسان ـــ ككل جزء آخر من أجزاء العالم ـــ يسير كذلك فى هذه الطريق المرسومه ، الا أنه قد تبلغ به الانانية حدا بعيدا فيظن أنه المقصود من خلق هذا الكون الفسيح ، وان هذه الطبيعة وما فيها انما وجدت من أجله ولصالحه، ولكن لا يجوز للفيلسوف بحال من الأحوال ان ينظر الى العالم هذه النظرة الشخصية الضيقة فواجب أن نجرد أنفسنا من نزعتنا البشرية ، حتي يتسني لنا أن ندرك الكون مستقلا عنا ، بعيدا عما تمليه أغراضنا ، وان ندرسه دراسة موضوعية (objective) كحقيقة عارية لا تؤثر فيها الميول الانسانية . فلا ننسب الخير والشر لهذا الشيء أو ذاك لأن الخير والشر نسبيان للبشر ، وليس لهما وجود فى الواقع ، فاذا ماحكمنا على شيء فى الطبيعة بأنه عبث وشر ، أو أنه يثير فينا السخرية . فذلك لأننا لا نعرف الأشياء الا معرفة جزئية ، ولأننا نريد أن تسير الأمور كما نشتهى نحن ، وحسب ما تمليه عقولنا . لأننا نجهل أن الكون وحـــدة لا تتجزأ ، فما نحكم عليه بأنه شر ليس فى الحقيقة شرا بالنسبة للقوانين التي تسير الطبيعة بمقتضاها . ولكنه شر بالنسبة لطبيعتنا نحن بعد فصلها وانتزاعها من تلك الوحدة الكونية . فالشر والخير أوهام لا تعرفها الحقيقة الخالدة . لا ولا الجمـــال والقبح لأنهما كذلك أوصاف أصطلح عليها الانسان . فالشيء الجميل والشيء القبيح هما فى نظر القوانين العامة سواء، ولاتفضيل لأحدهما على الآخر . هكذا يريد سبينوزا أن نجرد أنفسنا من كل النزعات والميول والأغراض وأن ننظر الى العالم من وجهة نظر الواقع ، لا من وجهة نظرنا نحن ، حتي نصدر أحكاما صحيحة ، يجب أن ننظر الى العالم نظرة مجردة كما ننظر الى المثلث مثلا ، فأنت لاتحكم عليه كما يقع فى نفسك ، فيكون لك فيه رأى ولى فيه رأى آخر ، لا بل ننظر اليه بالنسبة الى القانون العام المجرد الذي يتحكم فى جميع المثلثات على السواء ، فيكون المثلث عندك كما هو عندى وعند أى انسان . فلننظر اذن الى هذا العالم من وجهة نظر قوانينه الثابتة الشاملة حتى لايتغير باختلاف الميول والأشخاص ، ويزعم سبينوزا : ان تلك النظرة الشخصية قد أفسدت علينا فهم الله سبحانه وتعالى فهما صحيحا ، فأخذنا ننسب اليه صفاتنا نحن ، لماذا ؟ لأننا أبصرناه من نافذة نفوسنا ، ولم نتجرد لنطل عليه من جانب الحقيقة والواقع ، فنحن مثلا نتصور الله فى صورة المذكر دائما ، ولا نرضي ان نصبغه بصبغة التأنيث ، نقول هو

ولا نقول هي ، وليس ذلك الا نتيجة لخضوع المرأة لسلطان الرجل ، كذلك ننسب اليه كل الصفات التي نراها حسنة كاملة لا من حيث الواقع ولكن من حيث حكم العقل البشري المحدود بميوله وأغراضه . وقد كتب سبينوزا في ذلك الى أحد معارضيه يقول : « اذا اعترضت علي بأنني لا أريد أن أصف الله بالنظر والسمع والملاحظة والارادة وما الى ذلك من الصفات . . . فانت اذن لا تعرف الاله الذي أتصوره ، وأحسب أنك لا تستطيع أن تتخيل مثلا أعلى من الصفات السالفة الذكر ، واني لا أستغرب منك هذا القصور في الخيال ، لأنني اعتقد أن المثلث اذا استطاع أن يعبر عن نفسه ، لقال كذلك أن الله يتميز بصفات المثلث . كما تقول الدائرة أن طبيعة الله دائرية . وهكذا ينسب كل شيء الى الله من الصفات ما يراها في نفسه » .

الله عند سبينوزا هو مجموع الأسباب والقوانين جميعا ، وقوته هي مجموع القوى العقلية الكامنة في كل أجزاء المادة المنتشرة في الزمان والمكان . لان لكل شيء في الوجود جانبا عقليا أي روحيا كما أن الامتداد أي الجسم جانب آخر .

ولكن ما هو العقل وما هي المادة ؟ ذهب الخيال الجامح ببعضهم الى حد القول بأن المادة روح كلها ، وليس الجسم الا محض فكرة ، كما جمد الخيال عند بعض آخر الى حد القول بأن العقل مادة كله ، وليست الافكار الا عمليات جسمية ، وذهب فريق ثالث الى أن العقل والمادة مستقل بعضهما عن بعض ، الا انهما متوازيان في عملهما ، أي أن العقل يفكر والجسم يتحرك دون ان يكون بين ذلك التفكير وهذه الحركة علاقة ما . يستعرض سبينوزا هذه الاراء جميعا فيرفضها جميعا ، فلا المادة روحية ولا العقل مادي ، ولا هما مستقلان متوازيان ، اذ ليس هناك شيئان متميزان : عقل ومادة ، حتى نبحث عن العلاقة بينهما ، بل ثمت شيء واحد فقط ، وعملية واحدة فحسب ، لها مظهران أو جانبان ، فانت تراها الآن باطنيا في صورة الفكرة ، ثم تراها خارجيا في صورة العمل . فالعقل والجسم وحدة لا تتجزأ ، وكل أجزاء الوجود لها هاتان الشعبتان الممتزجتان المتحدتان ، وبعبارة اخرى ، المادة التي في الكون والروح التي في الكون شيء واحد ذو وجهين ، وبعبارة ثالثة ، الطبيعة والله شيء واحد ، واذا كان الأمر كذلك من توحيد العقل والجسم ، اى الروح والمادة وجعلهما شيئا واحدا ، فلا اختلاف اذن بين الارادة والذكاء ، مادامت الارادة هي عبارة عن نزوع الجسم الى عمل معين ، والذكاء هو القوة الفكرية الخالصة

وهانحن أولاء قد رأينا أن أعمال الجسم وقوة الفكر ليسا الا ناحيتين من حقيقة واحدة .

الانسان اذن بعقله وجسمه وحدة لا تقبل التقسيم ، وعماد وجوده هو الرغبة اللاشعورية في البقاء ، فالرغبة اللاشعورية عند سبينوزا هي كنه الانسان وجوهره (قارن ارادة الحياة عند شوبنهور ، وارادة القوة عند نيتشه) وكل الغرائز خطط دبرتها الطبيعة لحفظ الفرد أو النوع ، والسرور والألم ينشآن عن اشباع الغرائز أو تعطيلها ، فليس السرور والالم سببا لرغباتنا كما يذهب فريق من المفكرين ، ولكنهما نتيجة لها . نحن لا نرغب في الشيء لانه يسرنا ، ولكنه يسرنا لاننا نرغب فيه ، ولا بد لنا أن نرغب فيه لانه يشبع لنا الغرائز التي تمهد لنا سبيل البقاء ولا بد أن يكون القارىء قد سارعت اليه النتيجة الطبيعية لهذه المقدمات ، وهي أن ليس ثمت ارادة حرة ، وأن الانسان مجبر على السير في طريق معينة مرسومة ، ليس له أن يحيد عنها قيد شعرة ، لان ضرورات الحياة تحدد الغرائز ، والغرائز تملي الرغبات ، والرغبات تخلق الافكار والاعمال المعينة . وقد يتوهم الانسان انه حر فيما يفكر ويعمل ، ومنشأ ذلك الظن الخاطىء أنه مدرك لرغباته ولكنه يجهل الاسباب التي تسوق اليه تلك الرغبات ، فيخيل اليه انها انما تولدت بمحض ارادته ، والحقيقة ان هناك من الدوافع الغريزية ما تحتم عليه أن يحقق هذه الرغبة أو تلك رغم أنفه ، فهو يدرك النتائج فقط ويجهل الاسباب الدافعة اليها ، ويشبه سبينوزا الانسان في ذلك بقطعة من الحجر الملقى ، الذى لابد له من أن يسقط في مكان معين تبعا لقوة الدفعة ، فلو فرضنا ان ذلك الحجر الملقى له ادراك كالانسان ، لظن أنه انما يسقط في هذا المكان الخاص ، وفي هذه الساعة المعينة ، لأنه يريد ذلك ، وهذا لانه يجهل اليد التي دفعته فقسرته على تصرف لا يستطيع أن ينحرف عنه .

وهكذا تخضع أعمال الانسان لقوانين ثابتة ثبوت القوانين الهندسية ، ومعنى هذا أن الانسان جزء لا يتميز من سائر اجزاء الطبيعة ، بل يندمج فيها ويخضع لناموسها . الانسان ظاهرة مادية ككل الظواهر الاخرى يتحكم فيها ذلك القانون الشامل الذى يكمن وراء الكون جميعا ولا ينفصل عنه ، بل يكون معه كلا لا تنفصم عراه . وقد ضربنا مثلا بذلك الجسر (الكوبرى) وقوانينه الميكانيكية ، نحن أجزاء من ذلك التيار الذي يجرف أمامه كل شيء ، تيار القانون العام والسببية ، ولما كان ذلك القانون هو الله ، فنحن اذن أجزاء من الله تعالى ، ولو أن الأفراد تفنى بالموت ، الا أن

تلك الحقيقة الخالدة التي تتمثل فينا ، باقية لاتموت . اجسامنا خلايا في جسم الجنس ، والأجناس أعضاء من جسم الحياة ، وبهذا الدمج — دمج الفرد في الكل — يقول شاعر هندى « اعلم أن روحا واحدا ينظم نفسك في الكل ، وانبذالوهم الذى يفصل الأجزاء عن كلها الشامل » .

وباعتبار الانسان جزءا من كل ، فهو خالد . ذلك لأن القانون الذى يسيره لايفنى بفنائه كما قدمنا ، بل هو أبدى تظهر آثاره في الأفراد بعد الأفراد . فأنت اذا محوت مثلثا مخطوطا على ورقة أمامك ، فليس معنى ذلك فناء القوانين التي تخضع لها المثلثات ، لأن هذا المثلث المعين الذى محوته ، لم يكن شخصية منفصلة عن زملائه المثلثات ، بل يضبط الجميع ناموس واحد لايعتريه التغير والفناء . وقل مثل هذا تماما فى أفراد الانسان ، يموت الواحد ويبقى قانونه ممثلا في سائر الأفراد ، وهذا هو معنى الخلود عند سبينوزا ، وهو كما ترى ليس خلودا لأفراد ، بل خلودا لقوة وقانون ، وذلك يتضمن بالطبع انكار الثواب فى الحياة الآخرة جزاء الفضيلة الدنيوية . وهو يقول فى ذلك : « ان هؤلاء الذين ينظرون للفضيله كأنها عبودية مفروضة عليهم من الله تعالى ، ولا بد أن يمنحهم الله جزاء على قيامهم بهذاالفرض الثقيل ، انما هم أبعد ما يكونون عن فهم الفضيلة على الوجه الصحيح . فالفضيلة أوطاعة الله هى سعادة فى نفسها ، يشعر الانسان بالطمأنينة والنعيم في أدائها ، فعلام تنتظر الجزاء ؟ انك تكون كرجل أسكنه سيده قصرا فخما وأعد له فيه كل ألوان النعيم ، فيظل يرتع فيه وينعم ، ثم هو بعد ذلك ينتظر من سيده أجر البقاء فى ذلك النعيم !!

والخلاصة أن الطبيعة تسير بمقتضى قوانين كامنة فى صورها كما تكمن قوانين الصوت مثلا فى جهاز الراديو ، فكما أنك لا تستطيع أن تقول هذا هو الجهاز المادى للراديو ، وتلك هى قوانينه النظرية منفصلة ، بل هما شىء واحد لاينفصل ، كذلك لا يمكنك أن تقول هذا هو العالم المادى وتلك هي القوة الروحية التى تسيره ، لأنهما متصلان فى وحدة لاتتجزأ . وبما أن هذه القوانين تسيطر على كل جزء من أجزاء الوجود — والانسان واحد منها — فالانسان يسير بمقتضى تلك القوانين الثابتة . ولا يتمتع بذرة من الحرية فى تصرفاته .

وهناك جوانب أخرى من فلسفة سبينوزا ، فقد كتب رسالة فى الاخلاق وأخرى فى النظام السياسى ، وكنا نحب أن نتناولهما بالشرح الموجز لو لا ضيق المقام ، فلعلنا نوفق الى تحقيق ذلك فى مقال آخر ؟

عمالقـــة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

خريج جامعة كاليفورنيا

لاريب ان العالم كان مسكونا بكائنات على جانب عظيم من الضخامة ، فالعلم يخبرنا عن « الدينوسور » Dinosaur العظيم الذى يوجد هيكله العظمى الهائل بالمتحف البريطانى مع هياكل أشباهه من عظائم الحيوان وأغواله . وكذلك «العنقاء» ، أو الطـــير العظيم المسمي « بترو دا كتيلس » Petrodactyles، ولم يكن هذا الاخير طيرا بمعنى الكلمة أو وطواطا بل نوعا من العظايا الهائلة اكتسب خصوصية الطيران .

دبت هـذه الحيوانات المرعبة على ظهر الارض فى العهـد « الميوسينى » Miocene كما يسميه علماء طبقات الارض او عهد منتصف الحياة ، وذلك من ملايين السنين الخالية !! ويحتمل انها عاشت قبل الانسان بكثير .

ويظهر ان هذه الحيوانات انقرضت فجأة بفعل بتأثير بركان عنيف أبان معظم المخلوقات ، ثم تبع ذلك العصر الجليدى فأتى على آخرها ولم يتركلنا من آثارها الا عظاما نخرة أقامها العلم هياكل هائلة ووقف الانسان مبهوتا فاغرا فاه ، أما فى البحار فلا يزال بها من المخلوقات العظيمة ما لم تنقرض كأقربائها الدواب ، فالحوت الهائل يمخر البحار ويشق عبابها ، وأذكر انهم اقتنصوا وحشا منه فى المحيط الهادىء قرب شاطىء كاليفورنيا الجنوبى منذ سنتين وكان يزن سبعين طنا !!

كذلك كان الحال فى المملكة النباتية ، كانت لها عمالقتها ، كانت هناك أشجار ضخمة تؤلف غابات شاسعة تشمل المناطق الشمالية من أوربا وأمريكا ، ولا ريب انها أظلت وحمت الكثير من تلك الوحوش ، ومن هذه الاشجار شجرة « السيكويا » Sequoia — ملكة النباتات — التى قاست ولا ريب كل المحن التى ألمت بالكائنات الحية التى عاصرتها ولكنها نجت منها وعاشت الى هذا الوقت تخبرنا فى صمت رهيب، عن ماض بعيد ملىء بالكوارث والخطوب .

وتنتمي شجرة السيكويا الى العائلة المخروطية أى عائلة الصنوبر ، ويوجد منها نوعان : « سيكويا سمبرفيرنس » Sequoia sempervirens

و « سكويا جايجانتيا » Sequoia gigantes ولا يوجدان في مكان ما على ظهر البسيطة الا فى ولاية كاليفورنيا. فيوجد النوع الاول ناميا على ساحل المحيط فى شمال الولاية حيث الطقس بارد صيفا وشتاء وحيث الرطوبة متوفرة طول السنة ، وفى منطقة يبلغ طولها ٤٥٠ ميلا بموازاة الساحل ، ويقل تدريجيا كلما ابتعد عن البحر وامتد شرقا الى الجبال الساحلية . وأما خشبه فضارب الى الحمرة ويعرف فى مصر بالجوز الامريكاني الذي يصنع منه الاثاث ، واما النوع الثانى فيوجد بداخل الولاية ومنتصفها فى ثلاثة أحراج متقاربة فى قمة جبال السييرا على ارتفاع عظيم من سطح البحر ، ومن العجب انه لاتوجد أشجار متفرقة من هذا النوع ، فكأنها خافت على نفسها نوائب الحدثان وخشيت الانقراض فتجمعت فى هذه الاحراج متقاربة كما تتقارب أفراد القطيع اذا أحست خطراً

وعندما اكتشف النوع الثانى الذى هو أضخم من الاول فى سنة ١٨٥٥ ، أرسلت منه نماذج الى انجلترا فاسماه النباتي لندلى « وللنجتونيا » تمجيداً لاسم الجنرال ولنجتون الذي قهر نابوليون والذى كان فى ذروة المجد وقنة الشهرة إذ ذاك . فاخذت الامريكان النعرة الوطنية إذ عز عليهم أن تسمى شجرة امريكية باسم رجل انجليزى فاسموها « واشنجطونيا » نسبة الى جورج واشنجطن أبى الامريكيين . وأخيراً قر الرأى على جعل اسمها الجنسى سيكويا نسبة الى رجل من متوحشى الهنود الحمر سكان امريكا الاصليين ، لم يصب مجداً بالفتح واراقة الدماء ، بل بعقلية جبارة وعبقرية نادرة . ينتمي هذا الهندى الى قبائل « الشيروكى » التي كانت ضاربة فى تخوم ولاية جورجيا الجنوبية ، تزوج أبوه الابيض من أمه الهندية ثم لم يلبث أن هجرها فاعتزلت وابنها ركناً فى غابة ونشأ نشأة هادئة تغاير نشأة اترابه الهنود الذين يتلقنون فنون الصيد والقنص والحرب وغيرها من اعمال الفروسية فى سن مبكرة ، فكان يساعد امه على اعمال المنزل أو فلاحة الارض وقطع الاخشاب ، فلما شب وترعرع احترف الصياغة ونبغ فيها نبوغا عظيما وذاع صيته ذيوعا كبيراً ، ثم وجد ان البيض يغيرون على وطنه ويقتطعون أراضيه ويجلون أهله وعشيرته عن مساقط رءوسهم فأحزنه ذلك وأخذ يفكر فى الامر وخرج من تفكيره بضرورة مقاومة المدنية بالمدنية .

ولما أدرك بثاقب فكره ان السر فى تفوق البيض وتمدينهم ينحصر فى مقدرتهم على التفاهم قراءة وكتابة قرر أن يخترع لغة لقومه، فنبذ الصياغة وعكف على الدرس فى الغاب وأخذ يكد ذهنه ويحفر فى قشور الاشجار الى أن وصل بعد ثلاث سنين الى اختراع رموز تمثل كل كلمة أو فكرة فى لغة قومه ، ولكن هذه تكاثرت لدرجة يصعب على الاذهان استيعابها ، ففكر مرة أخرى واهتدى أخيراً الى أن الصوت هو مفتاح اللغة ، فكد واجتهد الى أن خلق حروفا أبجدية فاستطاع أن يكتب لغة أغنى بمفرداتها من لغاتنا ! ! بعد ذلك علمها قومه فتهافت عليها صغيرهم وكبيرهم الى أن حذقوها ، ومن ثم تحسنت أحوالهم العمرانية وازدادت ثروتهم وخطوا فى سبيل المدنية خطوة واسعة ، ولكن جشع الابيض وظلمه كانا دائبين. فما زال باراضيهم يغتصبها بقوة السلاح الى أن تشردت قبائل الشيروكى وتقلصت حدودهم . لم يقف سيكويا عند هذا الحد بل خرج وهو فى الثانية والثمانين من عمره فى صحبة صبى صغير ليدرس لهجات الهنود المختلفة ويضع بعد ذلك لغة عامة للهندي الاحمر . فعبر السهول والجبال ولكن مات رفيقه الصبى من مشاق الرحلة فسار وحده ضاربا فى الفيافى المقفرة والغابات الموحشة والجبال الشامخة المكسوة بالجليد، الى أن وقفه الضعف والعياء فحط رحله قرب حدود المكسيك لآخر مرة . ودفن حيث مات فى حفرة عادية ، ولم تلبث الذئاب أن نبشت قبره وبعثرت عظامه . . .

هذا رجل من عظماء العالم قل من يعرفه ، حتى قبره امتهن ، ولم تكن عليه أقل اشارة تدل على عقله الراجح ونفسه العظيمة ، ولكن العبقرية لاتفنى فقدر لاسمه أن يقترن بهذه الاشجار الخالدة ، وسوف يخلد معها الى أبد الآبدين .

وأشعر بعد طول هذه المقدمة أن أقصر كلامى على حرج واحد من الاحراج الثلاثة ، لا لأنه أهمها فقط بل ولأنه أعجبها . . . (يتبع)

حاجة اللغة العربيـــة
الى دراسة الثقافة اليونانية

من محاضرة للمستر أربرى

أستاذ اللغة والآداب اليونانية واللاتينية فى كلية الاداب

انقضى نحو ألف من السنين والعالم الاسلامى مول ظهره لليونان وثقافتهم، ولم يبدأ الاهتمام بهذه الثقافة مرة أخرى إلا فى الجيل الحديث، وهـذه العودة الى دراسة الآثار اليونانية ليست أقل الظاهرات التى امتازت بها النهضة العلمية والأدبية الجديدة فى البلاد الناطقة بالضاد. وقدكان لمصر فضل السبق فى هذا الميدان كدأبها في جمع الحركات الهامة.

ونظراً لأن أشعار هوميروس هى أول ثمرة أنتجتها قرائح اليونان، كان من الملائم جداً أن يكون أول ماترجم الى العربيـة حديثاً من الآثار اليونانية الباذة هوميروس. وقد بدأ سليمان البستانى ذلك العمل الشاق فى عام ١٨٨٧، واستطاع أن يخرج للناس فى سنة ١٩٠٤ ترجمة عربيـــة كاملة منظومة. ومن الظلم البين أن يحاول الانسان نقد هذا العمل الجليل أو الحط من شأنه، ماذا يهمنا أن نقرر بأن النظم ليس من مرتبة عالية، أو أن المعنى الأصلى - بل والروح أيضاً - لم يدركه المترجم أحيانا؟ حقيقة أنه من سوء حظ المترجم أنه اختار للترجمة ملحمة لكى يظهر فيها مقدرته على النظم. فان اللغة العربية لا يلائمها هذا الضرب من القريض بنوع خاص (كذا) نظراً لما لها من نظام معقد في الوزن والقافية. ولكن على رغم هذا، الأجدر بنا ألا نطبق قواعد النقد الأدبى على تلك الترجمة، بل ننظر اليها كأنها بشير ينبئنا بما يمكن للأدب العربى أن يبلغ اليه بعد.

ولا أظن أن بى حاجة الى أن أحصى لكم المترجمات الأخرى التى ظهرت فى هذا القرن. فكلنا نعلم جهود الاستاذين لطفى السيد بك، والدكتور طه حسين في هـذا الباب. فبفضل ما بذلاه من جهود أصبحت اللغة العربية مرة أخرى غنية بما ترجم من آثار الفيلسوفين افلاطون وأرسطو. وواجب على كل محب لرقي الآداب والعلوم العربية أن يشجع كل عمل من هذا القبيل.

ولكنى الآن أريد أن أتساءل - ومن المهم جداً أن أتساءل - هل من المستحب ترجمة الآثار اليونانية واللاتينية الى اللغة العربية فى الوقت الحاضر؟ وإذا كان هـذا مستحباً، فهل يكتفى بالترجمة عن التراجم التى فى اللغات الأوربية الحديثة؟ أم هل من اللازم أن يكون المترجم ملماً بالأصل اليونانى أو اللاتيني للكتاب الذى يترجمه؟

ولنبدأ بالرد على السؤال الثانى. فنرى من البديهى أن الترجمة عن ترجمة شىء لا يكفي ولا يغنى، وإذا جاز لنا أن نضرب مثلا، فلنتصور كاتباً فرنسياً يريد أن يطلع قومه على جمال الأدب العربي، ولكنه بدلا من المبادرة الى تعلم العربية يلجأ الى ترجمة انكليزية أو المانية للكتاب الذى يريد أن ينقله، ثم يكتفى بنقله على هذه الصورة الى اللغة الفرنسية. فكيف يستطيع مثل هذا الكاتب إذا أراد ترجمة المعلقات مثلا بهذه الطريقة، أن يحتفظ بما فيها من خيال شعرى، ونظم بديع؟ أو إذا أراد نقل رسالة من تلك الرسائل الدقيقة المعنى التى ألفها ابن العربى، أومقالة من مقالات الجاحظ البليغة، فهل يمكن أن تكون ترجمة الترجمة التي يقدمها للقراء، إلا بمثابة شبح لشبح؟ ولو أني قابلت رجلا من هذا القبيل لأبديت له إعجابى بحماسه وغيرته، ثم طلبت اليه بكل ما لدى من أدب وحزم أن يبدأ بدراسة العربية خمس سنين، ثم ينظر بعد ذلك هل في وسعه أن ينهض بذلك العبء.

فاذا كان لا بد من نقل الآثار اليونانية واللاتينية الى العربية، فليس من شك فى أن هذا العمل الخطير يجب أن ينهض به علماء من الناطقين بالضاد، لهم إلمام تام بهاتين اللغتين. وليس من وسيلة أخرى لاتمام ذلك العمل على الوجه الأكمل. بل انى أذهب الى أبعد من هذا فاقرر بان العمل لا يستحق أن يعمل بأى شكل آخر.

ولكن هل من اللازم القيام بذلك العمل؟ لقد يتساءلون: أليست آدابنا وحدها كافية لتثقيف المصري فى عصرنا هذا؟ أليس الأولى بمن لغتهم العربية، أن يقصروا دراستهم على الأدب العربي اللهم إلا فريق المتخصصين؟ ثم على فرض أنه من المستحب لأسباب كثيرة - أن ندرس لغات وأدبيات أجنبية، ألا يكون الأفضل دراسة اللغات الأوربية والاسيوية الحديثة؟ وما دامت اللغتان اليونانية واللاتينية قد ماتتا منـذ قرون عديدة، أليس الأولى بنا نحن أن نتركهما في رمسهما؟ وإلا فما الفائدة التى تجنيها اللغة العربية والآداب المصرية من دراسة تلك الآثار اليونانية واللاتينية مما لا يمكن الحصول عليه بشكل أكمل وأحسن بدراسة الآداب الحديثة»؟

لقد جاء فى كتاب (الفلسفة فى الاسلام) تأليف دى بوير العبارة الآتية: «ان أجل شىء خلفه لنا العقل اليونانى فى الفنون وفى الشعر وفى التاريخ، لم تصـل اليه أيدى الشرقيين. وكان من

الشاق عليهم أن يفهموه لجهلهم حياة الاغريق . فنرى مثلا مؤرخى العرب قادرين على ذكر أمراء اليونان حتى كليو باطره، وكذا قياصرة الروم. ولكنهم كانوا يجهلون المؤرخ تيوسيديد ، ولا يعرفون اسمه . أما هوميروس فلم ينقلوا عنه غير جملة واحدة وهي : « لا يكون الحكم إلا لواحد » . ولم يكن لهم أدني دراية بالشعراء والروائيين من الاغريق . »

ولكن مثل هذا الحكم ليس عادلا تماما . حقيقة لم يكن للمسلمين الأولين اطلاع على القسم الاعظم من أدب اليونان . ولم يكن لهم علم بحياة الاغريق ، ولم يهتموا بمعرفتها ، ولكن لو أن المصادفة ساقت اليهم هذه الآثار المجيدة ، أكان يتعذر عليهم أن يتذوقوها ويقدروها حق قدرها . أليس الارجح أن شعبا متوقد الذكاء ، شديد الاحساس بالجمال ، مثل الشعب العربى هو أقدر الناس على تقدير محاسن الأدب اليونانى ، كما أمكنه أن يقدر ويفهم دقائق الفلسفة اليونانية ؟ ولكن ظروفا سيئة حالت بين العرب والادب اليونانى . ففى وقت نشأة الاسلام كانت الدولة البيزنطية يغشاها ظلام . وأشد العصور التى مرت بها حلكة وظلاما هى المدة ما بين سنة ٦٤١ و ٨٥٠ . ويحدثنا ساندس Sandys عن الحالة فى أول هذه الفترة فيقول فى كتابه عن تاريخ الدراسات اليونانية واللاتينية : « أن القيصر ليو الثالث الذى استطاع أن يرد اغارة العرب على القسطنطينية . وأن يعيد تنظيم الامبراطورية سواء من الناحية الحربية أو المدنية . لم يصنع مع هذا كله شيئا لتشجيع العلوم . بل لقد حرم معهد العلوم الامبراطورى من ممتلكاته بالقرى من أيا صوفيا . وطرد رئيس المعهد ومعه اثناعشر معلما كانوا يتولون مع نيوريس الفنون والفقه . وكذلك يروي بعض المؤرخين أنه أمر باحراق مكتبة المعهد ، وبها نحو ثلاثة وثلاثين ألفا من المجلدات في موضوعات دينية وغير دينية ، ولئن كانت هذه حالة دولة اليونان في هذا العصر أى في العصر الذى اتسع فيه نفوذ الثقافة اليونانية فى البلاد العربية ، فكيف نرجو أن يعنى العرب بدراسة الآداب اليونانية واللاتينية ؟ أما الفلسفة والعلوم المفيدة فقد كان لها عندهم المكان الاول ، نظراً للظروف الخاصة التى دعت للاهتمام بهما : إذ كانت الفلسفة عندنا على الجدل الدينى ، والعلوم النافعة مثل الطب والهندسة ، من بواعث الراحة المادية للانسان . وكذلك يجب ألا تنسى أن العرب كان لهم أدب زاهر لا مراء فى أنه من الرقى بمكان عظيم . وكأنما وجد الناس فى القصائد الجاهلية وفى المدائح والمراثي والمنظومات المختلفة، التي تغنى بها الشعراء الأمويون والعباسيون . وجد الناس فى هذا كله بغيتهم من الخدمة الادبية . أما النثر فانه من بعد تلك المعجزة الابدية : ـ القرآن ـ قد جعل يرتقى حتى بلغ فى أيدى كبار الاساتذة أمثال الجاحظ والحريرى والهمذانى على مرتبة عالية من الكمال . وبهذه الصورة نما للعرب أدب خاص ممتاز وأصبح تراثا عظيما ، آل اليوم الى البلاد الاسلامية .

ولكني وإن علمت ما امتاز به هذا التراث من عظمة واتساع ورقى . فاني على ذلك لا أتردد فى أن أقرر بأن الذكاء العربى قادر بعد على انتاج ثمرة لا تقل عن تلك المنتجات . بل لقد تفوقها . وأنا زعيم بان بلوغ تلك الغاية على أكمل وجه إنما يكون بدراسة آداب اليونان والرومان .

* * *

أن جميع الآداب الأوربية الحديثة مدينة ، ديناً لا يمكن حصره ، للآداب اليونانية واللاتينية ، وحسبنا أن نذكر تلك الحقائق المألوفة عن عصر النهضة فى غرب أوربا ، وكيف أن استكشاف الآداب اليونانية من جديد ـ على أثر استيلاء الاتراك على الاستانة وانتشار العلماء والاسفار اليونانية فى أوربا ـ كان باعثا لحياة جديدة فى ميدان العلم والأدب ، ووسيلة لغرس بذور الآداب القومية فى كل بلد من البلاد الاوربية ....

* * *

في الوقت الحاضر نرى الآداب الاوربية الحديثة تدرس بحماس وبتقدير يبعثان على الاعجاب وحاشاي أن أحاول الغض من هذا الحماس والنشاط . بل انى لارى فى المقالات التى كتبها المنفلوطي ومدرسته والكتاب المعاصرون أمثال العقاد ومنصور فهمى وسلامه موسى وغيرهم من أعضاء ذلك الرهط النابغ من الكتاب بعثا جديداً فى الادب العربي . وخصوصاً وفوق كل شىء نرى تلك النهضة فى نبوغ شوقى الذى لا يضارع إعجابنا به إلا حزننا على فقده . وفى تلك الروايات التمثيلية التى أثمرها فكره الناضج الجميل .

ولكن إذا ما ذهبنا لرؤية رواية من رواياته تمثل فى أحد المسارح . فلنذكر أن الفن التمثيلي إنما ولد فى بلاد اليونان ، وان ما خلفه الاغريق من القطع التمثيلية التى هى للعالم ذخر يعتز به ويحرص عليه ، منذ خمسة وعشرين قرنا . لانها هى أكمل وأبدع الروايات التمثيلية التى انتجها الفكر البشرى . ولنذكر ونحن نقرأ روايات شكسبير وكورني وجوته ، أنه لولا اليونان لما كانت تلك الآثار . وكذلك فنون الادب الأخرى فان مرجعنا فيها الى أدب اليونان والرومان . الذى هو المنبع والمرجع لكل من آداب

الأمم العربية . والآن يحق لنا أن نتساءل هل يجوز أن تستبعد الآثار اليونانية من النهضة الجديدة التي يعيش في ظلها كل مصرى فى وقتنا هـذا ـ سواء أدرك ذلك أم لم يدركه ، وسواء رغب فى ذلك أم رغب عنه ؟ ومن ذا الذي تبلغ به الجرأة على ان ينادي بالاكتفاء بالادب الاوربى عن الادب اليونانى . والاستغناء عن المثال اكتفاء بالقياس ؟

قال الاستاذ جيب فى كتاب (تراث الاسلام) مقارنا بين أدب اليونان والعرب ؟ : «من أهم مميزات الادب العربى والفارسى أنه عاطفى (Romantic) . وان الطالب الذى نشأ على حب المثل اليونانية فى الادب لن يجد في ادب العرب والفرس تلك الصفات التي امتاز بها ادب اليونان والتى هى السر فى قوته الساحرة الباقية على مدى الزمان ، وبرغم ما فيه من قوة الصياغة التي قد يفوق فيها قوة الصياغة فى أدب اليونان ، فان فيه جمودا وفى أدب اليونان تنوعا ، وفيه اغراق ومبالغة وفي أدب اليونان شدة ووقار ، وقد بلغ الكتاب اليونان واللاتين ما بلغوه من العظمة بتوخى البساطة والسهولة وعدم الاندفاع . بيـنما الكاتب الشرقى ينسج آياته فيملأها بالبديع الغامض من اللفظ ، ويلتمس لها الاستعارات والكنايات البعيدة الخلابة . واليوناني يؤثر في الفكر بواسطة الجمال الخالص . أما العربي أو الفارسى فيؤثر فى الحاسة وفى الخيال بما يأتي به من الالوان الساحرة »

والآن أليس من المحتمل أن قد يتاح لابناء مصر ان يوفقوا بين المثل الادبية العربية واليونانية ؟ أليس ممكنا أن تعليما يتناول دراسة الادبين العربى واليونانى فى آن واحد ، قد يأتى بنتـائج لايحلم بها أحد ، ويوجد في الادب العربي ثروة جديدة ، إذ يكون سببا فى خلق مسرح قومى وأناشيد وقصائد وتاريخا ونقدا أدبيا ، وهذا كله يجمع مزايا كل من الادبين ويفوق كلا منها ؟ فهل يكون أملا بعيداً ان نرجو ان الجامعة المصرية قد تصبح يوما ما ذات شهرة عظيمة فى أمور كثيرة ، ومنها أنها المعهد الذى ساعد على إيجاد مثل ذلك الادب ؟

فى القرن الثالث الهجرى ، كتب الجاحظ وهو بالبصرة :ـ « اننا لو لم تكن لدينا كتب الاوائل التي خلدوا فيها حكمتهم وعلمهم والتى ذكروا فيها تاريخهم واعمالهم حتى نكاد ان نراهم بأعيننا . ولو لم تكن عندنا ثروة تجاربهم ، لكان حظنا من الحكمة والعلم صغيرا ضئيلا » . هكذا كتب الجاحظ وما كان نصيبه من حكمة القدماء إلا نزرا يسيرا . فهل نكون نحن أقل اعترافا منه بالجميل مع ان نصيبنا أكبر وأوفر ؟ ؟

بلاط الشــــهداء

بعد الف ومائتى عام

للاستاذ محمد عبد الله عنان

فى أواخر اكتوبر من العام الماضى . كان قد انقضى الف ومائتا عام كاملة على حادث كان له أعظم الآثار وأبعدها في تاريخ الاســلام والنصرانية ، بل كان كلمة الفصل الحاسمة فى مصاير الاسلام والنصرانية .

هذا الحادث الجلل ، هو موقعة بلاط الشهداء التى تعرف فى التواريخ الفرنجية بموقعـة « تور اوبواتييه » ، والتى نشبت بين العرب والفرنج فى سهول فرنسا على ضفاف اللوار في اكتوبر سنة ٧٣٢ .

وقد مضى علي بلاط الشهداء الف ومائتا عام ، وتغير وجه التاريخ ، ومحيت آثار الاسلام من غرب أوربا ومن الاندلس منذ نحو أربعة قرون . ومع ذلك فان ذكريات بلاط الشهداء مازالت حية فى الغرب ، وما زالت وقائعها وآثارها التاريخية موضع التقدير والتأمل من جانب المؤرخ الغربى . وكان انقضاء الالف ومائتى عام على حدوثها ، ذكري جديدة نظمت من أجلها الاحتفالات في فرنسا ، وكانت مثار تأملات وتعليقات جديدة ، تدور كلها حول الصيحة التاريخية القديمة : لو لم يرد العرب والاسلام فى سهول تور ، لما كانت ثمة أوربا نصرانيـة ، بل لعله ما بقيت نصرانية على الاطلاق ، ولكان الاسلام اليوم يسود أوربا ، وكانت أوربا الشمالية تموج اليوم بابناء الشعوب السامية ذوى العيون الدعج والشعور السود ، بدلا من أبناء الشعوب الآرية ذوى الشقرة والعيون الزرق

وهذا الحادث الجلل ، وهذه الذكريات والتأملات التى أثارها وما زال يثيرها ، هى موضوعنا فى هـذا الفصل . وسنعنى بشرح مقدماته وتفاصيله علي ضوء أوثق المصادر العربية والغربية ، وسيرى القارىء بعد إذ يتلو هذه التفاصيل ، ان التاريخ الاسلامى كله قد لايقدم الينا حادثا له من الخطورة والاهمية وبعد الاثر ما لموقعة بلاط الشهداء

— ١ —

افتتح العرب اسبانيا ، وغنموا ملك القوط فى سنة ٩٧ - ٩٨ ﻫ (٧١١ — ٧١٢ م) على يد الفاتحين العظيمين طارق بن زياد وموسى بن نصير ، فى عهد الوليد بن عبد الملك ، وأضحت اسبانيا من ذلك التاريخ كمصر وافريقية ولاية من ولايات الخلافة الاموية ، وتعاقب عليها الولاة من قبل الخليفة الاموي ، ينظمون شئونها ، ويدفعون الغزوات الاسلامية الى ماوراء جبال البرنيه (البرت أو الممرات) فى غاله (جنوب فرنسا) ، فلم تمض عشرون عاما على افتتاح الاندلس حتي استطاع العرب أن يجتاحوا ولايات فرنسا الجنوبية ، وأن يبسطوا سلطانهم على سهول الرون وأن يتقدموا بعيداً فى قلب فرنسا

ولكن اسبانيا المسلمة على حداثة عهدها لم تلبث أن اضطرمت بالفتن والمنازعات الداخلية ، ولم تلبث النصرانية أن أفاقت من دهشتها الاولى ، وتأهبت للنضال والمقاومة ، ولقى العرب بعد فورة الظفر التى اجتاحت جنوب فرنسا ، هزيمتهم الاولى فى موقعة تولوشة (تولوز) فى ذى الحجه سنة ١٠٢ ﻫ (يونيه سنة ٧٢٢ م) وقتل أميرهم وقائدهم السمح بن مالك ، فارتدوا الى سبتمانيا بعد أن فقدوا زهرة جندهم وسقط منهم عدة من الزعماء الا كابر

وقطعت الاندلس بعد ذلك زهاء عشرة أعوام من الاضطراب والفوضى ، وخبت ثورة الفتح ، وشغل الولاة بالشئون والمنازعات الداخلية ، حتى عين عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي واليا للاندلس في صفر سنة ١١٣ ﻫ (ابريل سنة ٧٣١ م)

ولسنا نعرف كثيرا عن سيرة الغافقي الاولى ، ولكننا نعرف انه من التابعين الذين دخلوا الى الاندلس، ثم نراه بعد ذلك من زعماء اليمانية وكبار الجند ونراه فى سنة ١٠٢ ﻫ على أثر موقعة تولوشة ومقتل السمح بن مالك ، يتولى قيادة الجيش وامارة الاندلس باختيار الزعماء والقادة مدى أشهر ، ثم لانسمع عنه بعد ذلك ، حتي يولى امارة الاندلس للمرة الثانية من قبل الخليفة سنة ١١٣ ﻫ (١) . على الذى لا ريب فيه هو ان عبد الرحمن الغافقي كان جنديا عظيما ظهرت مواهبه الحربية فى غزوات غاليا ، وحاكما قديراً ، بارعا فى شئون الحكم والادارة ، ومصلحا مستنيراً يضطرم رغبة فى الاصلاح ، بل كان بلا ريب أعظم ولاة الاندلس واقدرهم جميعاً . وتجمع الرواية الاسلامية على تقديره والتنويه برفيع خلاله ، والاشادة بعدله وحلمه وتقواه (١) ، فرحبت الاندلس قاطبة بتعيينه ، وأحبه الجند لعدله ورفقه ولينه ، وجمعت هيبته كلمة القبائل ، فتراضت مضر وحمير ، وساد الوئام نوعا فى الادارة والجيش ، واستقبلت الاندلس عهدا جديدا .

وبدأ عبد الرحمن ولايته بزيارة الاقاليم المختلفة فنظم شئونها وعهد بادارتها الى ذوي الكفاية والعدل ، وقمع الفتن والمظالم ما استطاع ، ورد الى النصارى كنائسهم وأملاكهم المغصوبة ، وعدل نظام الضرائب وفرضها على الجميع بالعدل والمساواة ، وقضى صدر ولايته فى اصلاح الادارة وتدارك ما سرى اليها فى عهد أسلافه من عوامل الاضطراب والخلل ، وعنى باصلاح الجيش وتنظيمه عناية خاصة ، فحشد من الصفوف من مختلف الولايات ، وأنشأ فرقا جديدة مختارة من فرسان البربر باشراف نخبة من الضباط العرب وحصن القواعد والثغور الشمالية وتأهب لاخماد كل نزعة الي الخروج والثورة (٢)

وكانت الثورة توشك أن تنقض في الواقع في الشمال ، وبطلها فى تلك المرة زعيم مسلم هو عثمان بن أبى نسعة الخثعمى حاكم الولايات الشمالية . وكان ابن ابى نسعة (أو منوزا أو مونز كما يسميه الافرنج) من زعماء البربر الذين دخلوا الاندلس عند الفتح مع طارق . وقد عين واليا للاندلس قبل ذلك بثلاثة أعوام ولم يطل أمد ولايته ، ثم عين حاكما لولايات البرنيه وسبتمانيا . وقد كان الخلاف يضطرم منذ الفتح بين العرب والبربر وكان البربر يحقدون على العرب إذ يرون انهم قاموا بمعظم أعباء الفتح واستأثر العرب دونهم بالمغانم الكبيرة ومناصب الرياسة . وكان ابن أبى نسعة كثير الاطماع شديد التعصب لبنى جنسه ، وكان يؤمل أن يعود الى ولاية الاندلس ، ولكن عبد الرحمن فاز بها دونه فزاد ذلك فى حقده وسخطه ، وأخذ يترقب الفرص للخروج والثورة .

« يتبع »

(١) تختلف الرواية الاسلامية فى تاريخ ولاية عبد الرحمن فيقول الضبى ان تعيينه كان فى حدود سنة ١١٠ ﻫ (بغية الملتمس رقم ١٠٢١) وكذا ابن بشكوال (نفح الطيب ٢ ص ٥٦) . ويقول ابن عذارى انه كان فى صفر سنة ١١٢ (ج ٢ ص ٢٨) . وابن حيان انه كان فى صفر سنة ١١٣ (نفح ج ٢ ص ٥١) وهي أرجح رواية فيما نعتقد ومنها أخذنا لاتفاقها مع سير تواريخ الولاة المتقدمين

(١) راجع ابن عبد الحكم - ص ٢١٦ و٢١٧ - بغية الملتمس للضبي (فى المكتبة الاندلسيه) رقم ١٠٢١ ـ المقرى عن الحميدى (نفح الطيب ٢ ص ٥٦)

(٢) Condé—I P. 105

الى الدكتور هيكل

باذن الدكتور طه

عزيزى هيكل

حوار ناعم صاغته أناملكما القديرة . وحجاج ذو غمزات تواثبت فيه من كل جهة مع يراعات الربيع ، مهبات الصبا ونفحات النرجس.

إن ما نثرتماه على طريق القراء أشبه « بأقاحى الخميلة وحريرها » ولكنى لهذا خفت ان يكون ما بين طيات النرجس وتحت الحرير نفاثة طائشة ، من حشرة ساهية ، تضرب ما بين الدعاب البرىء ، فتصيب من غيركما مقتلا للهوى أو ميلا وليداً للفن .

بل خفت على رغم ما صرحت به ، أن تعود فتعتصم من الغلط . إغلط ياصديقي هيكل — بل ياصديق قرائك ، إذ لا معرفة بينى وبينك ، إلا ما بلغني من فيض قلمك ، — إغلط وأكثر من الغلط الموهوم . وكسر من هذه القيود التى كسر بعضها من قبلك طه . كسرها لنفسك ولنا ، كما كسرها لنا وله . — وأعلن ، أعلن عن جهدك ، عن كتبك ، فاسمك للقراء شعر موسيقي يتهلل له الضمير المسجون . أعان لنعرف نحن ، قريبين أو بعيدين ، أن منا رجال العمل والتفكير . اسمك مجد لقارئيك وللعربية . — كلا ! لست بذلك أميريكيا ، فارباب القلم أجمعوا أن يكون لهم جمعيات ومجلات ومشروعات عدة لمجرد الاعلان الأدبى فى أقطار العالم المتمدن .

أسلوبك شائق ، عباراتك كصفوف جيش أعدت للهجوم . أفكارك تلتهب ما بينها التهاب القنابل : هذا جيشان نفسك المزدحم !

أكثر من شخصيتك . اسكب نفسك كأنوار الشمس ، يلذذ بالحياة العلمية والوطنية فيها من يقرؤك .

إن أغلاط أكابر الكتاب هى صك تحرير النشء الصاعد .

بيروت حبيب شماس

* * *

والرسالة تسأل السياسة :

أهذا الكتاب الرقيع على ما فيه ضير أم ذلك الخزى الذى نشرته يوم الاثنين فأهانت بنشره اللغة والادب والذوق والمروءة ؟ !

بنت فرعون تحب

للأديب حسين شوقى

الأميرة (تى) تعسة جدا لانها تحب ، ولكن حبها مستحيل لانه بشرى .. يا للكفر ! بنت الفراعنة ، بنت الآلهة تحب رجلا فانيا ؟ حقا انه لخطب جال ! ماذا تفعل الاميرة فى حيرتها واضطرابها الوجداني ؟ ستطلع الملكة على سرها علها تعينها فى الخطب فهى امها ذات الصدر الحنون ، برغم ما يزعمه الناس من ان تلك الأم من منبت رباني ، وبرغم ما يحيطونها به من مظاهر العبادة والتقديس . ذهبت الاميرة الى الملكة فاطلعتها على جلية الأمر . . . لحزنت الملكة من اجل ذلك حزنا شديدا ، لعلمها بان ابنتها لن تحقق حلمها اللذيذ ، وقد كان لها هى أيضا فى صباها مثل هذا الحادث ولم يشفها منه إلا سيل من الدموع .. الملكة فى حيرة من أمرها لأن حب تى ليس حبا زائلا كما توهمت اول وهلة ، بل هو حب مرضى في درجته الثالثة .. والاميرة آخذة في الذبول .. على ان شحوب وجهها قد زادها رونقا وجمالا ، .. أتطلع الملكة بدورها فرعون على الأمر ؟ كلا ! لا فائدة من ذلك لان فرعون ليس بشريا وانما هو إله عابس نحت قلبه من صوان نوبيا الأصم .. ولو عرف السر لقضى على العاشق وهو فتى أغريقي فى جيشه ..

هدأت الملكة من روع (تى) ، ولكن من إذن يخرج الملكة من حيرتها ؟ الكاهن الاكبر ؟ أجل ! هو صديقها وهو رجل قادر مهيب مقرب كما يزعم الناس من الآلهة متصل بهم إتصالا وثيقا .. اطلعت الملكة الكاهن على السر ، ولكن ماذا يعمل الكاهن ؟ الكاهن يحك صلعته حيرة ، لان الحب كما يعلم شيطان متعب لا يعبأ بالرقى والتعاويذ ، بل يسخر من الآلهة والناس على السواء !.

قال الكاهن ، بعد أن عصر قريحته : حسن يا ولاتي سنقيم تمثالا لآمون ، الرب الاكبر - فى حجرة الاميرة عساه يطرد ذلك الجنى الخبيث الذي اختبأ فى قلب الفتاة ..

ثم مرت الايام والتمثال لا يأتى بالمعجزة ، إلا انه زاد في زينة الحجرة لانه كان جميل المنظر ، صنع كله من الذهب الخالص ..

أما العاشق واسمه بالاس وهو من منبت اغريقى كما قدمنا فقد كاد يجن من هذه الخرافات ، فضلا عن انه كان يحب الاميرة حبا جما ، تلك الفتاة التى كان يدعوها بحق : الظبية الافريقية ..

« البقية على صفحة ٣١ »

عكاظ والمربد (١)

للاستاذ أحمد أمين

من أبعد الاماكن أثراً فى الحياة العربية عكاظ والمربد ، وقد كان أثرهما كبيراً من نواح متعددة : من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الاجتماعية ومن الناحية الادبية ، ودراستهما تضيء لنا اشياء كثيرة فى تاريخ العرب .

ولكن يظهر لى أنه لم يعن بهما العناية اللائقة ، فلا نرى فيما بين أيدينا - الا كلمات قليلة منثورة فى الكتب يصعب على الباحث أن يصور منها صورة تامة أو شبهها ، ومع هذا فسنبدأ فى هذه الكلمة بشيء من المحاولة فى توضيح أثرهما ، وخاصة من الناحية الادبية .

عكاظ

فى الجنوب الشرقى من مكة ، وعلى بعد نحو عشرة أميال من الطائف ، ونحو ثلاثين ميلا من مكة ، مكان منبسط في واد فسيح به نخل وبه ماء وبه صخور ، يسمى هذا المكان « عكاظ » ، وكانت تقام به سوق سنوية تسمى سوق عكاظ ، وقد اختلف اللغويون فى اشتقاق الكلمة ، فقال بعضهم : اشتقت من « تعكظ القوم » اذا تحبسوا لينظروا فى أمورهم ، وقال غيرهم : سميت عكاظا لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضا بالمفاخرة أى يعركه ويقهره ، كما اختلفت القبائل فى صرفها وعدم صرفها ، فالحجازيون يصرفونها وتميم لاتصرفها ، وعلى اللغتين ورد الشعر :

قال دريد بن الصمة : « تغيبت عن يومى عكاظ كليهما »

وقال ابو ذؤيب :

اذا بُنى القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الالوف

* * *

وكان للعرب أسواق كثيرة محلية كسوق صنعاء ، وسوق حضرموت ، وسوق صحار ، وسوق الشحر ، انما يجتمع فيها - غالبا - أهلها وأقرب الناس اليها .

وبجانب هذه الاسواق الخاصة أسواق عامة لقبائل العرب جميعا ، أهمها : سوق عكاظ ، وسبب عمومها وأهميتها على ما يظهر :

(١) ان موعد انعقادها كان قبيل الحج ، وهى قريبة من مكة وبها الكعبة ، فمن أراد الحج من جميع قبائل العرب سهل عليه أن يجمع بين الغرض التجارى والاجتماعى بغشيانه عكاظ قبل الحج ، وبين الغرض الديني بالحج .

(٢) ان موسم السوق كان فى شهر من الاشهر الحرم — على قول أكثر المؤرخين (١) ، والعرب كانت فى (الشهر الحرام) لاتقرع الاسنة ، فيلقى الرجل قاتل ابيه أو اخيه فيه فلا يهيجه تعظيما له ، وتسمى مضر الشهر الحرام بالاصم لسكون أصوات السلاح فيه (٢) ، وفى انعقاد السوق فى الشهر الحرام مزية واضحة ، وهي ان يأمن التجار فيه على ارواحهم ، وان كانوا احيانا قد انتهكوا حرمة الشهر الحرام فاقتتلوا كالذى روي فى الاخبار عن حروب الفجار كما سيجيء ، ولكن على العموم كان القتل فى هذا الشهر مستهجنا ، قال ابن هشام : « أتي آت قريشا فقال : ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ ، الخ (٣) وقد قال ذلك استعظاما لقتله .

« فكان يأتى عكاظ قريش وهوازن وغطفان والاحابيش وطوائف من أفناء العرب ، (٤) وكانت كل قبيلة تنزل فى مكان

---

(١) عن مجلة كلية الاداب م ١ ج ١ مايو سنة ١٩٣٣

(١) الاشهر الحرم هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

(٢) تفسير الطبرى ٢ : ٢٠١ ولشدة تعظيمها اياه قيل له رجب مضر ولم يكن يستحله الاحيان خثعم وطيء الازمنة والامكنة ١ : ٩٠ . (٣) سيرة ابن هشام طبع اوربا ١١٨ . (٤) الازمنة والامكنة طبع الهند للمرزوقى ٢ : ١٦٥ .

خاص من السوق ، ففي الخبر ان رسول الله ذهب مع عمه العباس الى عكاظ ليريه العباس منازل الاحياء فيها (١) ويروى كذلك ان رسول الله جاء كندة فى منازلهم بعكاظ (٢)

بل كان يشترك فى سوق عكاظ اليمنيون والحيريون، يقول المرزوقي: « كان فى عكاظ اشياء ليست في اسواق العرب ، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره فيقف بها وينادى عليه ليأخذه اعز العرب ، يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته» (٣) ويروى ابن الأثير عن أبي عبيدة « ان النعمان بن المنذر لما ملكه كسرى ابرويز على الحيرة كان النعمان يجهز كل عام لطيمة — وهى التجارة — لتباع بعكاظ » .

فترى من هذا ان بلاد العرب من أنصاها الى أقصاها كانت تشترك فى هذه السوق .

واختلفت الاقوال فى موعد انعقادها ، وأكثرها على انه كان فى ذى القعدة من أوله الى عشرين منه ، أو من نصفه الى آخره ، قال الازرقى فى تاريخ مكة .

« فاذا كان الحج . . . خرج الناس الى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذى القعدة فيقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم بعكاظ ، والناس على مداعيهم وراياتهم منحازين فى المنازل تضبط كل قبيلة اشرافها وقادتها ، ويدخل بعضهم فى بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون فى بطن السوق ، فاذا مضت العشرون انصرفوا الى مجنة فاقاموا بها عشرا اسواقهم قائمة ، فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا الى ذى المجاز ثم الى عرفة ؛ وكانت قريش وغيرها من العرب تقول لاتحضروا سوق عكاظ والمجنة وذ المجاز الا محرمين بالحج ، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئا من المحارم أو يعدو بعضهم على بعض فى الاشهر الحرم وفي الحرم (٤) .

***

وظيفته : — كانت سوق عكاظ تقوم بوظائف شتي فهى — أول كل شيء — متجر تعرض فيه السلع على اختلاف انواعها ، يعرض فيه الادم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني (٥) ويباع به الرقيق (٦) ويعرض فيه كل سلعة عزيزة وغير عزيزة ، فما يهديه الملوك يباع بسوق عكاظ (٧) ويتقاتل ابن الخمس مع الحارث بن ظالم فيقتله ابن الخمس ويأخذ

(١) دلائل النبوة لابي نعيم طبع الهند ص ١٠٥ . (٢) دلائل النبوة ١٠١ ، ١٠٢ (٣) الازمنة والامكنة ٢ : ١٦٥ . (٤) أخبار مكة للازرقى ص ١٣٢ . (٥) الاغاني ١٩ : ٧٣-٨٢ (٦) تاريخ الطبرى جزء ٣ ص ٢٢٩٨ (٧) الاغاني ١٠ : ٩

سيف الحارث يعرضه للبيع فى عكاظ (١) وعلة بنت عبيد بن خالد يبعثها زوجها بانحاء سمن تبيعها له بعكاظ (٢)

ونسبوا الى عكاظ فقالوا : أديم عكاظي أى مما يباع فى عكاظ (٣) .

ولم تكن العروض التى تعرض فى سوق عكاظ قاصرة على منتجات جزيرة العرب ، فالنعمان يبعث الى سوق عكاظ بمتجر من حاصلات الحيرة وفارس لتباع بها ويشترى بثمنها حاصلات أخرى (٤) بل كان يباع فى عكاظ سلع من مصر والشام والعراق ، فيروي المرزوقى انه قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار واليمن ما لم يروا انه حضر مثله فى سائر السنين ، فباع الناس ما كان معهم من ابل وبقر ونقد وابتاعوا امتعة مصر والشام والعراق (٥)

وكانت السوق تقوم باعمال مختلفة اجتماعية ، فمن كانت له خصومة عظيمة انتظر موسم عكاظ « كانوا اذا غدر الرجل أو جني جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاظ فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول : الا ان فلان ابن فلان غدر فاعرفوا وجهه ، ولا تصاهروه ولا تجالسوه ، ولا تسمعوا منه قولا ، فان اعتب والا جعل له مثل مثاله فى رمح فنصب بعكاظ فلعن ورجم » وهو قول الشماخ :

ذعرت به القطا ونفيت عنه
مقام الذئب كالرجل اللعين

ومن كان له دين على آخر أنظره الى عكاظ (٦)

ومن كان له حاجة استصرخ القبائل بعكاظ كالذى حكى الأصفهاني أن رجلا من هوازن أسر فاستغاث أخوه بقوم فلم يغيثوه فركب الى موسم عكاظ وأتى منازل مذحج يستصرخهم (٧)

وكثيرا ما تتخذ السوق وسيلة للخطبة والزواج فيروى الأغانى انه اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ . وقدم أمية بن الأسكر الكناني وتبعته ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر . فتردد أبو هاشم ، ففخر كل منهما بقومه وعدد فما لا فى قصائد ذكرها (٨)

ومن كان صعلوكا فاجرا خلعته قبيلته — ان شاءت — بسوق عكاظ وتبرأت منه ومن فعاله ، كالذى فعلت خزاعة : خلعت قيس بن منقذ بسوق عكاظ ، وأشهدت على نفسها بخلعها اياه ، وانها لا تحتمل له جريرة ، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه (٩)

« يتبع »

(١) الاغاني ١٠ ص ٢٩ (٢) الاغانى ١ : ٨٤ (٣) ما يعول عليه فى المضاف والمضاف ليه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٧٨ أدب (٤) الاغانى ١٩ ص ٧٣ — ٨٢ (٥) الازمنة والامكنة ٢ : ١٦٨ (٦) الكامل لابن الاثير ١ . ٢٤٦ (٧) الاغانى ١٠ / ٤٨ وما بعدها (٨) انظر الحكاية بطولها في الاغاني ١٠ / ١٤٥ (٩) الاغانى ١٣ ص ٢ وما بعدها

من طرائف الشعر

كليوبطرة تناجي القصر

قطعة نظمها شاعر الخلود شوقي بك فى رواية كليوبطرة ثم بدا له فاسقطها منها فلم تنشر (١)

أيها القصر أترعى عهدنا ... وترى ان عز في الناس الوفى ؟
لاتضع عندك اسرار الهوى ... واخترنها فى الزوايا والحني
واتخذ ختماً على اشيائه ... ان اشياء الهوى كنز سنى
ذكريات كلما حركتها ... ضاع من جدرانك المسك الزكى
قبل : لم يحصها إلا الهوى ... طبن بالصبح وطيبن العشى
يجد الجسم لها همساً كما ... خفق السنبل أو رن الحلى
وعناق كالجفون اشتبكت ... والغصين التف باللدن الطري
ايها القصر انقضى عرس الهوى ... وطوى الاصباح ليل الانس طي
وقديماً فى الليالى لم تدم ... بهجة العرس ولم يبق الدوى

القرآن والتعليم

عرض مشروع التعليم الالزامى على مجلس الشيوخ فاقترح الاستاذ حسين والى حفظ القرآن لتلاميذ التعليم الأولى . فهز ذلك من صديقنا الهراوى فبعث الى الرسالة بهذه الأبيات :

قل « لوالى » عذت بالقرآن ... هل درى نبل قصدك الجلسان؟
وقفة منك للكتاب وللدين ... ن تولى تسجيلها الملكان
ليت شعرى والخلق فى الناس فوضى ... هل له وازع سوى القرآن ؟
نحن فى أمة تداركها الله ... ه بلطف ورحمة وحنان
خدعتها حضارة الغرب حتى ... كان منها عداوة الأيمان
فانبرت للفسوق والنكر والبغ ... ي جميعا والأثم والعدوان
فاذا لم يكن من الدين حصن ... تتمادى فى الغى والعصيان
أن هذا القرآن يهدى الى الرش ... د ويدعو لصالح الانسان
أصلح الله سعيكم هل أبيتم ... أن تمدوا القرآن بالسلطان ؟
لاتقولوا : فى الحافظين غناء ... بعض هذا ! افما تفيد الأمانى ؟
غير مجد أن يحمل الوحى صوت ... يتغنى للأجر والأحسان
نحن نبغي القرآن علما وفهما ... يخلقان الكمال فى الشبان
نحن نبغي القرآن لفظا ومعنى ... فهو صقل الحجا وصقل اللسان
نحن نبغى القرآن دينا ودنيا ... يتجلى فى هديه الحسنيان
ليس مثل القرآن سحر من اللف ... ظ وهدى وحكمة فى المعانى
نحن نبغى القرآن في معهد الدر ... س وفى كل منزل ومكان

الهراوى

رويدك قلبى

صبا القلب من شوق وحن إلى مصرا ... رويدك قلبى لاحنين ولا ذكرا
تشوقك مصر لا فؤاد بها إلى ... لقائك مشتاق ولا كبد حرى
تركت بمصر قبل بينى وديعة ... من الود فاستولى عليها الردى غدرا
وما حفظت مصر ودادى ولا رعت ... بعادى ولا صانت كما خلتها السرا
فؤاد رحيم كان مس حنانه ... أرق على قلبى من القطر أو أسرى
حننت له حيناً وشاطرته الجوى ... وحن إلى عهدى وشاطرنى الذكرى
ولو دام لى فى مصر عذب وداده ... لما اسطعت بعد اليوم عن أرضها صبرا
سلا اليوم ذكري فى الثرى وتفردت ... بحمل الأسى والشوق مهجتي الحسرى
أحن له ما راح دهرى وأغتدى ... وما عشت أبلو بعد أمر له أمرا
وأسقى بدمعى ذكره كلما هفا ... وهاجت بصدرى لوعة تلهب الصدرا
يعود إلى أوطانه كل نازح ... فيحمد ظلا فى حماها ومستذرى
وأحيا غريباً طول عمرى مفرداً ... رجعت لمصر أو تناءيت عن مصرا

لندن ... فخرى أبو السعود

---

(١) بعث بها الينا الشاعر الرقيق وصفى القرنفلى بحمص ثم نبهنا الى ان كلمة (مقمر) التى وردت فى البيت العاشر من قصيدة شوقي الخطية صوابها (مصحر) فله الشكر

فى الأدب الشرقى

من الادب التركى الحديث

محمد بك عاكف

للدكتور عبد الوهاب عزام

لا أريد أن أعرف اليوم بصديقى عاكف بك ، ومكانته بين شعراء الترك ، وكيف استحق أن يسمى « شاعر الاسلام » ، وعسى أن أعود اليه فى مقال آخر حين يأذن لى تواضعه وحياؤه أن أكتب عنه ، ولكني أعرض قطعة من الجزء الاول من ديوانه المسمى « الصفحات » عنوانها « سيفى بابا » أى « الأب سيفى » أو « عمنا سيفى » بلغة مصر .

ولست فى حاجة الي أن أبين للقارىء العزيز ما يفوته من جمال القطعة حين تترجم منثورة عاطلة من حلية النظم ، ولا سيما نظم عاكف بك المحكم السلس الذي يعمد الى الموضوع الانف لم يألفه النظم ولم يَرُضه الشعراء فاذا هو ريّض مذلل موطأ للشعراء كأنهم درجوا عليه قرونا .

سيفى بابا

عدت البارحة الي دارى فقيل لى : « سيفى بابا » مريض طريح الفراش .

— ليت شعرى ماذا به ؟

— لا ندرى . غير ان ابنه مر علينا مصبحا فاخبرنا .

— ليتنى كنت هنا . وا أسفاه . الي بالفانوس . أين عصاى ؟ عجلي يابنيتى . سأبيت هناك ان تأخرت فلا تنتظروا أوبتي . الطريق طويلة موحلة .

— لا بأس ! لسنا وحدنا الليلة ، فقد جاءت خالتكم .

العكاز فى يمناى ، وفى اليسرى فانوس مكسور الزجاج تبص فيه شمعة ، والمطر منهمر ، والوحل الى الحيازيم ، ليس للسابل منجاة من الغرق ، لولا أن أرواح الاحجار - أحجار البلاط التى دفنها البلى تنبعث امامه فتدعوه الى الاعتصام بها (١) . ما زلت كالعقعق، أحجل من حجر الى حجر ، ممطراً شآبيب الرحمة على موتى الاحجار . لا تسل عما عانيت ، ما جاوزنا الأحجار الا لنسبح فى البحيرات سبحا ، كان فانوسى يعوم فينثر الشرر حوله (٢) . كنت واياه زورقين يتباريان، لا أدرى كم سبحنا ولكننا انتهينا الى البر ، فاخذ فانوسى يحس ما حوله قليلا قليلا ، وكان الجهد قد بلغ منى مبلغه ، ولكنه كان اشد تعبا ، وكنت أرى عليه خمار الكد والنعاس، تارة يصطدم كالأعمى بجدار غير مطلى ، وتارة تتساقط أشعته الميتة على قبر ، وحينا ينطلق تحت سقف دار خربة ، وحينا يتخطى معبداً دارسا ، وطوراً أراه يطوف فى زوايا مقفرة مخوفة ، ثم يعترض أفظع الرجال لقاء غير هياب .

وعار تدثر فى ثوب من حالك الليل، يأوي الى طنف، هو والويل مضطجعا فى مهاد من الرغام ، تخاله نائما وكيف ينام ؟

وجماعات من البؤساء ، ضن عليهم بالبيوت الشقاء ، وأوكار خرست اصداؤها ، وبيوت خاوية على عروشها ، واسراب من نساء ائمات مطلقات ، واشتات من افراخ هذه الزيجات المبثوثة ، وأكوام من القمامات جاثمة فى الظلمات : اسرات هائمات فى الازقة تحمل بيوتها على ظهورها ، وقاطع طريق بالليل وهو فى وضح النهار سائل ، وشريد ، وشحاذ ، ولص وقاتل .

مناظر هائلة كلما بصر بها الفانوس الاعمي أبى الا أن يريني اياها ولست ادرى لماذا :

شرب الفانوس من ماء المطر فقال « جز » (٣) لافظا آخر انفاسه .

فانقلبت اعمي يتحسس طريقه بالسمع واللمس ، وما اشد هذا

---

(١) يريد الشاعر ان أحجار الرصف قد ساخت فى الارض وظهر بعضها بين الماء والوحل (٢) مجاديف الزورق تبعث من الماء بالليل شيئا يشبه الشرر يسمى بالتركية ياقاموز (٣) حكاية صوت انطفاء النار بالماء

هولا! وصارت الكارة لي عينا ويدا ورجلا ، لا أكذب الله ، لقد استشعر قلبي الفزع .

اشكر الله ، هذه ثلاثة فوانيس تمر أمامي . فلو استقامت على الطريق غير معرجة فسرت في أثرها! ما حاجتي اليها . قد اهتديت الطريق . أقول ، اهتديت الطريق ، وقد بلغت غايتي فهذه دار صديقي القديم . أ أرى ضوءاً ؟ إن لم يكن فلا ريب انه قدهجع . لا بد ان يكون في وسط الباب حبل في طرفه خشبة ، فاذا وجدته لجذبته ففتحت الباب . أجل . ولكن الباب موجف (١) أحسب ان خارجا قد خرج الآن . مالي ولهذا ؟ نذفت نفسي داخل الدار ونزعت الجرموق (٢) من رجلي وتقدمت ثم ملت ذات اليمين فاذا سلم ذو أربع مراق او خمس شق على الارتقاء فيه قليلا . وملت نحو اليسار ، وعالجت الستر الغليظ البالي المنسدل على الباب فوقع في اذني صوت الصديق الفقير

«أين كنت يابني ؟ ما تفقدتني قط . لك العذر ، والذنب لي إذ لم اخبرك . أعرف ان عملك كثير وان دارنا بعيدة . هلم فاسترح قليلا فلا شك انك قد جهدت . أوقدت جارتنا النار منذ قليل فان تكن مقروراً فانبش في الموقد ، فلتسب النار واصطل»

كانت غبشة الحجرة موحشة ، فقلت لو أضاء هذا الفانوس! وقدحت علبة من الثقاب حتى أمسكت آخر الأعواد فأدنيته من رأس الشمعة فهبط النور الى عينها العمياء ، كما تكحل العين بالميل انفتح ستر الظلام قليلا فتجلى للعين مرأى البؤس العريان . فلو كنت شاعرا ما استطعت أن اصوره ، فانها فلاكة لا يدركها الخيال .

زحف «سيفي بابا» الى الموقد ناشرا على ركبتيه عباءة بالية .

قد أغلي جارنا الزيزفون منذ حين فلو وجدناه!

لا تقم ، أنا ابحث عنه

«إن اصيباه شربنا منه فهو نافع . ها هو ذا يابني . لا تبحث لا تبحث»

ووقعت يدى على مغلاة بطينة (٣) فاخذت أغلي الماء واسقيه قدحا بعد قدح ، فاستبان الدم قليلا في وجه صاحبنا الهرم .

— خبرني ماذا كانت علتك ؟ لعل زكاما اصابك فهذا شتاء قارس جدا .

— قطر الماء من سقف محمد آغا فصعدت الى السطح لاصلاح القراميد فاصابني البرد منذ خمسة عشر يوما . قل : مالك وللقراميد أيها الأحمق! أراني العام مشترك اللب ، ولست أدرى أهي الشيخوخة . أم ماذا . ولكن هب اني لا اصعد الى السطوح لاصلاح القراميد فمن لي بالخبز ؟ أيحسن ان اقعد كالأعمى وابسط يدى الى كل لئيم ؟ يا بني من لم يكدح من اجل الخبز في هذه الدنيا فهو عار الاصدقاء ، وسخرية الأعداء . وإلا فالشيخ الذى جاوز الخمس والسبعين ليس كفئا للعمل ، وليس عليه إلا ان يفرغ الوضوء والصلاة . مرضت فلم اجد احدا يمرضني . عثمان (١) دائب ليل نهار يطلب عملا يقتات منه . ولست ادرى متى تدرك يده القوت . نحن في الساعة الثالثة الآن وهو لم يعد . ما افظع الوحدة! يمضى الاسبوع يا بني لا يسقط إلي احد . قد بلغت مني الوحدة هذه المرة ما لا اطيقه .

— سأعرقك واثقل غطاءك هذه الليلة فاني احسبك ان عرقت كثيرا تماثلت .

دع الشيخ يعرق ملففا في لحافه . . . رقدت على كليم بجانب المرقد وشرعت اتحسس النوم ولكن هيهات هيهات . . وكان التعب قد غلبني فاغفيت، فلما لاحت تباشير الصبح استيقظت فقلت ينبغي ان انصرف ، ولكن لا بد ان ادخل السرور على هذا الشيخ المعدم .

لم اجد في كيسى شيئا ، لم اجد عشر بارات ، لم اجد إلا خاتمي ذليلا منكسرا (٢) ؟

(١) مفتوح قليلا (٢) الجرموق حذاء يلبس على الحذاء ليقيه الوحل ونحوه

(٣) أريد بالمغلاة ما يغلى فيه الماء للشاى ونحوه وبطينة عظيمة البطن .

(١) ابن سيفي بابا (٢) للخاتم مقبض له مفصل فالانكسار هنا أن يميل المقبض وهو كناية عن المذلة

في الأدب الغربي

الذئب في الأدبين العربي والفرنسي

— ١ —

وصف الفرزدق صداقته وذئباً عاهده على ألا يخونه، فكان وفياً، ووصف الشريف الرضي ذئباً اصبح غرضا لقسي نوازع، وطعمة لرهط جائع؛ ووصف البحتري ذئباً هزيلا سدد اليه نصالا اوردته منهل الردى، في قصائد تراها في دواوين هؤلاء.

وقد رأيت انها في موضوع واحد — هو الذئب — فما الجلية بينها اذا جرت معاً في حلبة السباق؟ وما التي تقرب من المثل الاعلى في الموضوع ا؟ وهل لها في غير العربية مثيل او شبيه؟

وما دام في الفرنسية لهذه القصائد ند، وما دام بين الشعراء الفرنسيين من نظم في هذا الموضوع، فسنعرض لقصائدهم هذه بالنقل علنا نستطيع الموازنة بينها كلها او البحث فيها كلها، ولعل قصيدة (الفرد دفيني) الشاعر الفرنسي الذ في «موت الذئب» أقرب ما قرأت الى هذه الروائع، فستكون أول ما نترجم، واما الموازنة بينها فستكون في عدد تال إن شاء الله.

موت الذئب

La mort du Loup

خفت السحب الى القمر المتألق، كما يخف الدخان الى الحريق، واسودت الغابات فبلغ سوادها الأفق، وكنا نمشي على النبت الأخضر الندي دون ان نفبس بكلمة. فلمحنا في الظلام الكثيف تحت اشجار الصنوبر مخالب الذئاب التي كنا نطاردها منذ هنيهة.

فانصتنا حابسين انفاسنا، وسمرنا ارجلنا الى الأرض، فلا الغابة ولا السهل يتنفسان في وجه الريح الساكنة، اللهم الا دولاب هواء حزينا كان يصعد في السماء زفرة وداع اليمة، لان الهواء ارتفع عن الارض فلا يصيبه منه شيء.

وكان كل شيء ساكنا، حين تقدم الصياد الشيخ خافض الرأس يتحرى ويدقق، فنظر الى الرمل الذي اضطجع عليه منذ قليل ثم قال: «وهو الذي لم تؤخذ عليه هفوة، إن هذه الآثار آثار مخالب ذئبين كبيرين وجرويهما تبخترت من وقت غير بعيد».

فهيأ كل منا سكينه، وأخفينا بندقياتنا وبريق حديدها الابيض، ووقفت وثلاثة من رفاقي نرمي ببصرنا الى الامام، فاذا عينان تتقدان بالشرر، وأربعة اشباح أخرى رشيقة ترقص في وسط الاعشاب على ضوء القمر.

كانت الذئاب تشبه الراقصين بحركاتها، تلعب في صمت ورزانة عالمة أن على قيد خطوتين منها عدوها الانسان، مضطجعا بين جدران بيته لم يأخذ النوم بمعاقد اجفانه بعد.

وكان الذئب الأب واقفاً على بعد أمام الشجرة وزوجه مستريحة كصنم المرمر الذي عبده الرومان ومنه انحدر روموس ورومولوس.

وأقعى الذئب ومخالبه غائصة في الرمل، حين علم انه هالك لا محالة، لان عدوه باغته وملك عليه سبيله، وامسك بفمه الملتهب عنق أجرأ كلابنا، ولم يحول عنه فكيه الحديديين على رغم طلقاتنا النارية التي اخترقت جلده، وعلى رغم مدانا الحادة التي مزقت احشاءه، ولكنه لما احس بأن فريسته فارقت الحياة قبل ان يفارقها هو، أفلته من فكيه، ونظر الينا مرة واتبعها أخرى الى جسمه فرأى المدى غارقة في احشائه، ورأى نفسه سابحاً في بحر دمائه، تحيط به البنادق، فحدق فينا ثانية واضطجع وهو يلعق ذنبه بفمه، ويلقف نزيف الدم من كلومه، ودون ان يجرب او يبحث كيف يموت، اغمض عينيه الكبيرتين ومات دون ان يصرخ صرخة واحدة ...

.....

اسندت جبهتي حينذاك الى بندقيتي واستسلمت للأفكار فلم اجد سبيلا الى متابعة تلك الصور المريرة التي سيصبح عليها اولاده الثلاثة، وتصورت حال الأم وقد ارادت أن تشارك زوجها في حمل عبء هذه التجربة الخطرة، ولكن واجبها يقضي بأن تنقذ أولادها. وان تعلمهن كيف يتحملن الجوع، ويصبرن على ملاقاة

الموت ، وان تحذرهن دخول المدن لئلا يخدعن بالعهد الذي قطعه الانسان للحيوان ، هذا الحيوان الذي يجرى امامه فى الصيد ، ويخدمه . . كل ذلك ليؤويه وهو سيد السهل والجبل . .

* * *

واأسفاه ! لقد فكرت كثيراً فى معني عظمة هذا الاسم الذى يتحلى به بنو الانسان ، وعدت الي نفسى خجلا اتهم الانسان بالضعف والجبن .

أنت وحدك ايها الحيوان علمت كيف يجب ان نغادر الحياة واوزارها ، فليس فيما نعمله فى الحياة الدنيا ،وفيما نتركه عليها ما يستحق الذكر الا الصمت . هو العظمة ، وكل ما سواه ضعف .

آه ! . . لقد فهمت معنى نظرتك ايها المسافر المستوحش لأنها نفذت الى اعماق فؤادى قائلة : —

« اذا استطعت فاجعل نفسك — علي تفكيرها وحلمها — واثقة مطمئنة من القضاء والقدر .

« الشهيق والبكاء وصلاة الخوف كلها جبن ، فاعمل بثبات عملك الطويل الشاق ، في الطريق الذى شاء الحظ ان يدعوك اليه ، ثم . تألم . . ومت . . مثلي دون ان تنبس بكلمة . . .

حلب : سامى الدهان

بنجن على ضفاف الرين

للشاعرة الانكليزية HON. MRs. NORTON

كان ثمت جندى ملقى على الأرض فى بلاد المغرب ينتظر موته .
لم تعن به ممرضة ، ولم تذرف الدمع علي فقده امرأة .
ولكن عني به صديق وقف الى جانبه وهو يلفظ النفس الاخير .
ومال على المحتضر بنظرات كلها اشفاق وحسرة ليسمع ما قد يقول .
تناول الجندى المشفى على الموت يد رفيقه وقال بصوت متهدج مرير : « لن أراك يا وطنى - يا وطنى العزيز بعد :
بربك خذ رسالتى وأبلغها أصدقائى البعيدين كل البعد ،
فقد ولدت فى بنجن - فى بنجن على ضفاف الرين !

* * *

« قل لاخوتى ورفاقى عند ما يحتشدون حولك ،
ليسمعوا قصتى المحزنة فى مزرعة الكرم ،
قل لهم انا قاتلنا بشجاعة واقدام ، فلما انتهى اليوم كانت الجثث
مبعثرة فوق الثرى عليها صفرة الموت تحت الشمس الغاربة
وبين الموتى جنود مارست الحرب وعركتها ،
صدورهم دامية من اثر الطعن ،
وبعضهم صغير السن لم يلبث ان اظلم صبح حياته ،
وواحد منهم من بنجن - من بنجن الجميلة على ضفاف الرين .

* * *

« قل لأمى ان اخوتي الباقين سيكونون لك خير عزاء !
قل لها لقد كنت عصفوراً هائماً يحسب وطنه القفص
وقد كان ابى جنديا وكنت فى طفولتي اهتز طربا عند ما اسمعه يقص عن الحروب اروع القصص
فلما مات وتركنا نتقاسم ميراثه المتواضع
قلت لهم خذوا ما شئتم ولكن دعوا لي حسام ابي
وبشغف الطفولة المرحة علقته حيث تسطع الشمس ،
على حائط الكوخ فى بنجن - بنجن الهادئة على ضفاف الرين .

* * *

« قل لأختي لاتبك على ولا تحزن !
إذا رأت الجنود عائدة الى مستقرها بخطى مطمئنة فرحة ،
قل لها لاتبك ، ولا تعول بل لتنظر اليهم بفخر وزهو
لأن اخاها كان جنديا مثلهم ، ولم يكن يهاب الردى
واذا تقدم اليها احد الرفاق من الجند يخطب ودها
فاسألها باسمي ان تنصت اليه ، لا آسفة ولا مانعة ;
ولتعلق ذلك السيف القديم فى موضعه ، سيف ابي وسيفى
حبا في بنجن القديمة - بنجن الغالية على ضفاف الرين .

* * *

« وثمت فتاة اخرى ليست باخت ، صحبتها فى الأيام السعيدة السالفة ، ستعرفها من ذلك الحبور الذى يتلألأ فى عينيها ، بريئة لم يمسها العار ، متهكمة يحلو لها ان تهزأ وتسخر .
غير انى ايها الصديق اخاف على اشد القلوب جذلا من ان يثقلها الحزن
قص عليها حديث الليلة الأخيرة من حياتى ، لأنني سأموت قبل طلوع القمر .
ستذهب من جسدى الآلام وتخرج روحى من السجن .
كانني احلم بها وانا واقف معها نشاهد الشمس وهى تغرب وراء

تلال بنجن المكسوة بالكروم ـ بنجن الجميلة على ضفاف الرين .

* * *

« اني ارى النهر الأزرق يتدفق ماؤه ، واسمع او يخيل الى انى اسمع : اناشيد الألمان التى كنا نغنيها فى صوت متناسق عذب فتتردد بين النهر والسهول المنحدرة في جوف الليل الصامت الهادىء .

اني ارى عينيها محدقتين فى ، ضاحكتين زرقاوين ، وكأننى اسير الى جانبها ،فى تلك الطرق المحببة الى ، تلك الطرق التى اذكرها بالاجلال والتقديس ، واحس بيدها الصغيرة آمنة فى يدى .

ولكنا لن نلتقي مرة اخرى فى بنجن ـ فى بنجن العزيزة على ضفاف الرين »

* * *

اخذ صوته الأجش يضعف ويفنى ،وصارت قبضته كقبضة الطفل وارتسمت فى عينيه اشباح الموت ، ثم تنهد وامسك عن القول .

فمال عليه صديقه لينهضه ؛ ولكن سراج حياته كان قد خبا .

لقد مات الجندى المسكين في ارض نائية عن وطنه .

عنـــدئذ طلع القمر على مهل واطل على الكون

وعلى الرمال المخضبة بالدماء إثر المعركة ، وعلى الجثث المتناثرة « المبعثرة » .

وفي هدوء ، ارسل اشعته الشاحبة على ذلك المنظر المفزع .

كما يرسلها على بنجن البعيدة ـ بنجن الجميلة على ضفاف الرين .

محمود فهمي رزق

« أغنيـــة .. لفكتور هوجو »

يولد الفجر ، وانت موصدة الأبواب !

فلم يا حسنائى الرقود ، ساعة يقظة الورود ؟

فهلا تستيقظين ؟

اسمعي يا فاتنتي غناء محبك وبكاءه !

كل يقصد حماك المبارك .

فالفجر يشدو : « انا النهار » !

والعصفور يغرد : « انا الموسيقى » !

وقلبي يردد : « انا الحب » !

اسمعي يا ساحرتى غناء محبك ونواحه !

اعبدك كملاك ، واحبك كامرأة .

والاله الذى كمل خلقى بك

جعل حبي خصيصاً لك

ونظري لرؤية جمالك !

اسمعي ياغادتى غناء محبك وتحيه

حلب سامى الدهان

بنت فرعون تحب

« بقية المنشور على صفحة ٢٣ »

ولكن ماذا يفعل پالاس فى قوم يشركون الآلهة فى كل شأن من شؤون الحياة ؟ التقى پالاس ذات ليلة بالاميرة تحت شجرة الجميز الكبرى القائمة فى إحدى زوايا القصر ، حيث اعتاد الفتى والفتاة ان يتناجيا بلغة كوبيدون الشجية ،كلما سنحت لهما الفرصة ، فقال پالاس : أميرتي ! هيا نهجر هذا البلد الذي حرم الحب تحت سمائه ، حيث يسعد القط والضفدع ، فيؤلهان ويقدسان ، بينما يشقى البشر .. لنذهب الى يونان الجميلة .. فأجابت تى فى حماسة : ما أعظم شوقى الى رؤية وطنك المحبوب ذي الجبال الشاهقة التى يرتقى منها الناس الى مقر الآلهة في الاولمب !! .

ولكن عادت تي فقطبت حاجبيها قائلة : ولكني أخشى غضب الآلهة وسخطهم علينا يا پالاس ! فصاح پالاس : كلا ياحبيبتى لا تخشى شيئاً الآن الحب الذى يحرك قلبينا : ماهو إلا هبة من نفس أولئك الآلهة ..

أعد پالاس بعد تلك المقابلة زورقا وجهزه بالزاد لرحلة طويلة، وفى ليلة ظلماء ، حمل پالاس الاميرة الى الزورق نازلا في النيل الى البحر الابيض ، ولم ينس ان يحمل معه ايضا التمثال الذهبي الذى وضع فى حجرة تى لشفائها من الحب ، ولما سألته الاميرة فى دهشة عن سبب حمله للتمثال كذلك، اجابها مبتسما : هـذا ... مهرك ياحبيبتي !

كرمة ابن هانىء :

حسين شوقى

الاقيانوغرافيا

او

تقويم المحيطات

بقلم الدكتور حسين فوزى

مدير ادارة ابحاث المصائد

قلما استطاع المرء مهما امتدت ثقافته أو رق شعوره أن يدرك وهو على شاطىء البحر مدى ذلك الجزء من الأرض يغطيه الماء. وعبثا يعلم أن البحار تغمر نحو ثلاثة أرباع الكوكب الذى نعيش عليه. وانى له أن يقدر معنى هذه الحقيقة ويفهم أثرها فى تطور المخلوقات، بل في تاريخ البشرية منذ ظهر الانسان على سطح البسيطة؟ وماذا يعلم عابر المحيط من أمره أذ يري سفينته العظيمة تتلقفها الأمواج وسط دائرة الافق المطبق علي سطح زاخر من الماء؟ وهل أدرك فى تلك اللحظات أنه رب سابح فوق هوات عميقة لو أن جبال أيفرست اقتلعت من رواسيها وغاصت فى البحر لابتلعتها تلك الهوات دون أن يظهر أثر لقمتها الشامخة بتاج جليدها الابدى؟ وكيف يدرى أسرار تلك المياه وحركاتها وما اودعته من مخلوقات كانها أسرار الجنة مغلقة فى قمقمها؟ وأني له أن يفهم أثر الأفلاك فى ذلك المنبسط العظيم من الماء؟ وكيف يطلع على المآسى الدائرة على أساس تنازع البقاء وسط ذلك الخضم الهائل؟

أدرك الشعر عن طريق احساسه شيئا من تلك العظمة البالغة. ووقف الشعراء يقارنون بين اليابسة وماعليها — فهنا تترك العصور الجيولوجية طابعها فى الثلاجات والجبال والكهوف والوديان. والعصور التاريخية آثارها فى المعابد والمقابر والمنازل. ولعل الصحراء أشد ماعلى اليابسة قدرة على الكتمان، ومع هذا فقد تنجح أو لاتنجح فى أخفاء معالم الحضارات فى بطون كثبانها — وبين البحر وقد شهد معالم التاريخين، وتنازعته القوى الطبيعية والقوى البشرية، واتصلت بين شواطئه الحضارات. وهو عدا زئير أمواجه صامت لا يفشى سرآ من اسراره. تأمل البحر الأبيض تلك البحيرة الضئيلة وسط المحيطات. در حوله وطالع اثر الحضارات العظيمة التى قامت على شواطئه. هنا فينيقيا ومصر ويونان وروما والبندقية وجنوا وعصر الاسبان (الرينسانس) والقرن التاسع عشر. نصت الى صفحته المصقولة لتستخرج حديثاً وحيدا. سله عن ذلك الماضى، سله عن سفن يونان عائدة من طروادة لعله مخبرك بخبر اوديسيوس او اينياس. او عن سفائن الفرس وما اصابها من تمستوكل فى سلاميس. او عن اسطول كليوبطرة لتعلم كيف باع انطونيوس ملك العالم فى اكتيوم مطاردا الهاربة الجميلة. سله عن محاربة بونابرت فى أبى قير. أو عن اجدادنا الافريقيين فى نافارين، ذهبوا ليخنقوا حرية يونان وما استطاعوا ان يدافعوا عن حريتنا. سله عن ذلك التاريخ القريب والبعيد، بل سل عن الجاريات المنشئات وكانت منذ لحظة صروحا شامخة يمرح على سطوحها ألوف من الناس. اى جواب تتلقى من البحر غير اصطخاب أمواجه او تلألؤ الشمس فوق صفحته اللازوردية الصافية؟

وليس من عجب ان نجد البحر فى اساطير الاقدمين ركنا من اركان القوة الهائلة المجهولة المحيطة بالبشر. فقد طغى على البشرية جمعاء ذات يوم فاغرقها الا فرقة صالحة استوت سفينتها على جبل الجودى.

وشطر (مردخ) العملاق (تيامات) فجعل من اشلائه الارض والسماء. وركز الاولى وكانت على شكل جبل متوج بالسحب فوق البحر الذى تبزغ الشمس من شرقه لتغوص فى غربه

وامر جيهوفا الماء ان يغيض فى مكان لتظهر اليابسة وسماها الأرض واقام صرح السماء كالقبة على سطح البحر.

واقيانوس أبو الآلهة تقمص بحرا احاط باويقومينا واتصل بالبحر الابيض عند اعمدة هرقليس. ونفذ تحت الارض لينبثق فوق سطحها عيونا وغدرانا وانهارا.

وقصت علي جدتي حكاية ثور معروف يحمل الارض على قرنه . وينقلها من قرن الى قرن كما انقل ثقل جسمي من ساق الى ساق ، حين يعاقبني مدرس الجغرافيا بالوقوف الى الحائط

وقد اردت تحويل خرافات جدتي الى حقائق جغرافية .

— وأين تنتهي الارض ياجدتي ؟

— عند جبل قاف يابني

— وماذا بعد جبل قاف ؟

— تنين يحيط بجبل قاف يابني

— والتنين ياجدتي ؟

— سابح فى البحر الذى يحيط بالدنيا . والثور واقف على جزيرة من جزر ذلك المحيط ...... وهكذا .

ولقد حاول اليونانيون ايضا تحويل امثال هذه الصور الخرافية الى حقائق جغرافية .

ولكن هيرودوت انكر وجود بحر يحيط بالارض من الشرق، وقد عرف فى مصر خبر بعثة وجهها نيخو الثاني سنة ٦٠٠ قبل الميلاد . فى البحر الاريترى ـ بحر البلاد الحمراء اى بلاد العرب ـ فدارت حول افريقيا حتى عادت الى مصر بعد ان اخترقت اعمدة هرقليس (جبل طارق) . ولم يصدق هيرودوت ما ذكر عن ملاحى تلك الرحلة من أنهم شاهدوا الشمس تشرق وتغرب عن يمينهم فى احدى مناطق طوافهم .

ورأى ارسطاليس الرأى القائل بأن الاريترى والاطلانطيق بحر واحـــد ، وتضاءلت الدنيا امام عله حتى قال باستطاعة سفينة شراعية ان تســـافر فى رياح ملائمة من اعمدة هرقليس (جبل طارق) حتى الهند .

وجاء العالم الاسكندرى بطليموس فى القرن الثانى قبل الميلاد وقال بان افريقيا تتصل شرقا اتصالا تاما بآسيا، وان المحيط الهندي بحر داخلى . وكان يعتقد هو ايضاً أن غرب اوربا قريب من شرق آسيا . ويرجع الى هذا الرأى الذى ارتآه عالم كبير كبطليموس بعض الفضل فى اعتزام كولمبوس الوصول الى الهند من غرب اوربا واكتشافه أميركا

وهكذا ظل العالم يتخبط فى تفهم مدى المحيطات حتى بدأ البرتغاليون والاسبانيون رحلاتهم المجيدة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . واستطاع فاسكو دى جاما تطويق رأس الرجاء الصالح . واكتشف كولمبوس جزر الانتيل وقد حسب انه وصل الى آسيا ، ولم يدر أنه كان فى اسبانيا اقرب الى آسيا منه وهو فى دنياه الجديدة

وسافر ماجلان من اسبانيا مخترقا الاطلانطيق فالمضيق الذى حمل اسمه فيما بعد فالمحيط الهادى . ومع انه قتل فى الفيلبين فقد عادت بعثته الى اسبانيا بعد اتمام طوافها حول العالم في ثلاث سنوات

وهكذا استطاع العالم فى اقل من نصف قرن (١٤٩٢-١٥٢٢) ان يعرف اضعاف ما عرفه الاقدمون عن البحار ، وإذا استثنينا رحلات العرب فى المحيط الهندى بعد ذلك التاريخ فإن الاستكشافات فقدت نشاطها منذ أوائل القرن السادس عشر حتى قام الكابتن كوك برحلته في البحار الجنوبية فى اواخر القرن الثامن عشر . حينئذ استطاع الملاحون أن يتصوروا عن المحيطات صورة اقرب الى الحقيقة

واذا كانت الجغرافيا تشمل وصف المحيطات باعتبارها جزءاً من الكوكب الارضى فقد اختصت الاقيانوغرافيا بدراسة المحيطات كوحدة كونية تغمر ثلاثة ارباع الكرة الارضية ، ومع ان الاقيانوغرافيا تحاول ان تجد لها نسبا عريقا فى جميع الاكتشافات السالفة الذكر ، فالواقع انها لم تنشأ كعلم مستقل الا في النصف الاخير من القرن الماضى

وعلينا الآن ان نترك التاريخ لحظة اذا اردنا ان نعرف الى اى حد يحق للاقيانوغرافيا ان تتصل بنسبها الى الاستكشافات الجغرافية قديما وحديثا ، ولا يمكننا معرفة ذلك قبل الاجابة على السؤال الآتى :—

ما هى الاقيانوغرافيا

الاقيانوغرافيا هى وصف احواض المحيطات والظواهر التى تبدو على سطحها ، والعوامل والتفاعلات الحادثة فى بطنها . ودراسة القاع وتكوينه منذ ان ينحدر الشاطىء القارى تحت الماء حتى ابعد الأعماق ، ودراسة المياه التى تملأ احواض المحيطات وما فيها من مواد عالقة او ذائبـــة . وأثر الضوء والحرارة على المياه ومحتوياتها .

هذه هى الاقيانوغرافية الاستاتيكية

وفهم أثر الرياح والقوى العالمية (كجاذبية القمر) على سطح الماء من امواج ومد وجزر . ودراسة أثر الثلوج القطبية وما تسببه من تيارات

تلك هى الاقيانوغرافيا الديناميكية

ودراسة الاحياء التى تغشى القاع او تعيش فى طبقات الماء المختلفة . وتلك هي الاقيانوغرافيا البيولوجية

يظهر من هـــذا العرض السريع أن الاقيانوغرافيا تستعين بعلوم مختلفة . فدراسة خصائص الماء وما بها من مواد ذائبة او عالقة . وأثر الضوء والحرارة عليها وحركة التيارات تقتضى تطبيق علوم الكيمياء والطبيعة . ودراسة القاع وتكوينه ليست إلا تطبيقا جيولوجيا . كما ان تحديد مرتفعات هذا القاع ومنخفضاته - بطريق قياس الأعماق - هى عملية طبوغرافية . وفهم أثر الرياح على سطح المـــاء يقتضى فهم الجو نفسه بطريق علم الارصاد (الميتيورولوجيا) وتقدير ارتفاع المد وانخفاض الجزر وتوقيتهما يحتاج الى معارف فلكية . وفى كل هـــذا يلجأ الاقيانوغرافى الى الرياضيات لحصر تلك الظواهر الطبيعية، فى دائرة المعادلات والقوانين. كما ان من البديهي ان ترتكز الاقيانوغرافيا البيولوجية على علمى الحيوان والنبات

وقد يتساءل نوع من القراء ، وقد فرغ من هذا التعداد . وما فائدة كل هذه الدراسات ؟ وهذا النوع من التساؤل طبيعى فى الناس ولكنه يتخذ فى مصر لهجة يشوبها غير قليل من السخرية ، ويظهر اننا برغم مايبدو من مقدار نجاحنا فى دوائر العمل — أو فشلنا بالاولى — رجال عمليون بالفطرة .

فاذا حدثتنا عن فينوس ميلوء أو مخلدات ميكلانج ، أو بدائع دورر ، أو نظرية اينشتين . أو ناقشتنا فى قيمة مؤلف عظيم انتهينا بك الى « جميل » ولكن مافائدة كل هذا ؟ » إذ يجب على المؤلف والفيلسوف والمصور والحفار أن يحض على فضيلة أو ينشىء مصنع طرابيش ليكون لعمله قيمة فى نظر أبناء : « مصر ... قطعة من أوربا »

ومن حسن حظ الاقيانوغرافيا أن تجيب السائل عن سؤاله باكثر من جواب . على اننا قبل أن ننوه « بفوائد » الاقيانوغرافيا لن نتردد فى القول بانه اذا كان الاصل فى البحث العلمي هو رغبة الانسان فى استخدام القوي المحيطة به ، فانه يرجع فى غير قليل الي رغبة البشرية فى فهم تلك القوى لمجرد الفهم .

واذا كان الكشف العلمى قد أدى إلى حضارة اليوم فان هذه الحضارة لم تكن لتبلغ هذا المبلغ لو لم يكن من أجل صفات الذهن البشرى أن يفكر لمجرد التفكير ، محاولا فهم كنه الظواهر المحيطة به . والا فما الاديان وما الفلسفة ؟

واذا كان الانسان قد قام برحلاته فى المحيطات لغرض عملى ، فليس معنى هذا أن ننسى فضل المفكر الذي يقف بشواطىء المحيط حائراً متسائلا إلى أين تمتد مياهه . ناظراً إلى السماء متسائلا ماذا وراء النجوم . والانسان الأول قبل أن يعد عدته للانتفاع بمنتجات البحار ، وقف بشواطئها يتأمل مياهها لا لشىء إلا لأن الانسان حيوان مفكر . ثم لمح مخلوقا غريبا يلمع فى طبقات الماء فغاص وراءه أو فكر فى طريقة لصيده ، لا لشىء إلا للرغبة فى تعرف هذا المجهول . ثم أدرك بعد ذلك أنه يستطيع الانتفاع بلحم هذا المخلوق فى غذائه .

رأيت أن لا مناص لى من أن أنتحي هذا الجانب من التفكير فى عرض الكلام عن الاقيانوغرافيا . قبل أن أتحدث عن فوائدها ، ذلك لأن هذه الفوائد مهما كبر شأنها فلن تستطيع أن تفسر للذهن العادى معنى المجهود الذى بذاته وتبذله الانسانية لكشف البحار . ولقد سئمت أذني سماع سؤال واحد في الأيام الاخيرة بمناسبة البعثة الأجنبية التى تستعير السفينة الأقيانوغرافيـة المصرية « مباحث » للكشف العلمى بالمحيط الهندى . «ما فائدة هذه الرحلة ؟» .

وكان جوابي واحدا في كل مرة : « لافائدة منها الا أن نضيف كنزاً من المعرفة إلى كنوز العالم »

ما فائدة الاقيانوغرافيا

رأينا في بدء هذا المقال كيف جهد الملاحون جهدهم فى تعرف أنحاء الأقيانوسات . ولا يكفي في معارف الملاح أن يعلم باتجاهات الرياح وكيف يجد الجهات الاصلية فى الليل والنهار . فهو إذا رفع نظره دائما إلى النجمة القطبية كان نصيبه من البحر نصيب ملاح (الراين) فى أنشودة هاينى «لوريلاى» إذ تأسر بصره الجنية الجالسة عند أعلي الصخرة تمشط شـــعرها الذهبى ، فاذا بقاربه يرتطم بالصخور ويتحطم .

فالملاح يجب أن يعرف من أعماق البحر ما يقيه شر المياه الضحلة لذا كان سبر الأعماق من أقدم ما قام به الانسان من دراسة أقيانوغرافية . على انه إذا كان سبر الغور هاما قرب الشواطىء وما اليها من مواضع قريبة القاع ، فلم يكن يهم الملاح أن يعرف اعمق مايصل اليه البحر . ويغلب على الظن انه كان يعتقد بان غوره فى بعض الجهات لانهائى كالجو . وأول محاولة سجلها التاريخ لقياس الاعماق البعيدة هى ما قام به ماجلان ، إذ دخل المضيق المعروف الآن باسمه وأدلى مقياس أعماقه وهو ثقل معلق بحبل لايزيد طوله على بضع مئات من الامتار ، فلم يرتكز الثقل على قاع، ولذا اعتقد انه وصل الى أعمق بقعة فى المحيط . والواقع أن العمق فى مضيق ماجلان لايتجاوز ٤٠٠ متر في حين انه اكتشفت أعماق أبعد من هذا (نحو ١٠٠٠٠ متر)

كذا يهم الملاح معرفة نوع القاع فى الاعماق القريبة . وقد

روى هيرودوت خبر العلامة التي يعرف بها الملاحون اقترابهم من شاطيء مصر ـ وهو شاطيء منخفض لا يري إلا عن قرب ـ فهم إذا عاد ثقل مقياس الغور محاطا بالطين وسجل عمقاحد عشر ذراعا عرفوا أنهم على مسيرة يوم من شواطيء مصر .

و إذا كانت الاعماق السحيقة لاتهم الملاح فهو مهتم فى جميع أنحاء البحر بالعميق منهاوقريب الغور بمعرفة اتجاه التيارات . وقد لاحظ بنيامين فرنكلين فىسنة ١٧٧٠ وكان مديرا للبريد فى انجلترا الجديدة ان البريد المرسل من انجلترا يصل أميركا على السفن الاميركية أسرع من وصوله على السفن الانجليزية . فاخبره القبطان الاميريكى بخبر تيار بحرى يتجه فى المحيط الاطلانطيق الى الشرق تنتفع به السفن الاميريكيـة فى الذهاب وتتجنبه فى الاياب . بينما تجهل امره السفن الانجليزية . وحينما سافر فرنكلين الى فرنسا حرص على تدوين ملاحظاته عن هذا التيار (جولفستريم) و رسم خريطة له ظلت سراً حتى طرد الانجليز من مستعمرتهم الاميريكية الكبيرة وقد كان هذا الاكتشاف بدء عهد الملاحة الترمومترية . إذ كان الملاح يتعرف وجوده فى طريق هذا التيار بملاحظة ارتفاع درجة حرارة الماء من معدل معروف للاقيانوس فى المناطق التى لايمر بها التيـار . وللملاحة الترمومترية فائدة عظمى فى الضباب إذ يدل انخفاض درجة حرارة الماء انخفاضاً سريعا وغير عادى على اقتراب السفينة من جبال ثلجية عائمة .

ويعرف الملاح أيضاً حركات المد والجزر . إذ بدون معرفتها تتعرض سفينته لأخطار الارتطام بالصخور كما لا يستطيع تعيين وقت دخوله المرافيء .

ويعني صانعو السفن ومهندسو الموانيء بدراسة خصائص ماء البحر . لاختيار المواد التى ينشئون منها قاع السفن وحواجز المياه والأرصفة فلا تؤثر فيها مياه البحر وما بها من أملاح ذائبة وخصوصاً كلورور الصديوم .

وإذا سقنا الملاحة والهندسة البحرية مثلا على الفنون والحرف التي تنتفع بالمعلومات الأقيانوغرافية فان علينا أن نشير الى حرفة تعدمدينة للاقيانوغرافيابغير قليل من تقدمها . تلك هى حرفة الصيد .

ولقد سبق أن كتبنا عن « بحوث مصائد الأسماك »(١) وهي فى البحار فرع من الأقيانوغرافيا محدود باغراض نفسية محضة . وسنعود فى فرص أخري الى هـــذا الموضوع وانما نكتفى الآن بالاشارة الي كنوز البحار من أسماك وحيتان ووحوش وسلاحف ولآلىء ومرجان وأعشاب . ينتفع بها الانسان لغذائه وزينته وتدخل في صناعاته إذ يستخرج منها الزيوت والأسمدة واليود الخ .

وأخيراً عرف المتبعون أخبار العلم بخبر تلك المحاولة الجبارة التى يقوم بها جورج كلود للانتفاع بقوي المحيطات الحرارية . فهذا العالم الفرنسى يبني تجاربه على أساس ظاهرة كشفت عنها الأقيانوغرافيا . وهى ان اختلاف درجة الحرارة بين السطح والقاع فى البحار الاستوائية كبير الى حد إمكان تحويل هذا الاختلاف الى قوة محركة .

هذا عن الفوائد العملية المباشرة . أما عن فائدة الاقيانوغرافيا للعلم نفسه فقد وجد فيها علم الارصاد خير معين على تفهم الظواهر الجوية على سطح الارض . فالجو بحر غازى يتأثر بالحرارة والضغط وجميع العوامل الأخرى التى تؤثر فى البحر . ولما كان هذا الاخير بطيء التأثر بالنسبة الى الجو الأهوج . فان بطء الظواهر البحرية خير معوان على تفهم ظواهر الجو السريعة كما يفهم الانسان حركات العدو ، أو القفز العالى عن طريق فلم سينمائى يدار ببطء ، كما ان سطح المحيط هو خير منطقة لدراسة الجو فى أبسط مظاهره ، فبينما تكثر المرتفعات والمنخفضات على سطح الارض ويتغير الضغط الجوى تبعاً لها . نرى البحر بسطحه المستوى وصفحته المائية يحول دون التغيرات السريعة فى الضغط الجوى الناشئة فى الارض عن مرتفعاتها ومنخفضاتها . كذا برودة الهواء وسخونته أقل استعداداً للتغير الكبير السريع فوق الماء منها فوق اليابسة .

وكان من الطبيعى أن تنتفع الجيولوجيا من الأقيانوغرافيا ، فى دراسة قاع المحيطات الحالية وتفسير تكوينها مايعين الجيولوجى على أن يفسر تكوين بحار العهود الجيولوجية المنقرضة

وتبدو استفادة علم الحيوان من الأقيانوغرافيا بمقارنة مجموع الحيوانات الأرضية والحيوانات البحرية المعروفة . فاذا فتحت أي كتاب حديث فى علم الحيوان عند الفهرس وجدت ان فصائل الحيوانات البرية لاتمثل الا نسبة ضئيلة فى مجموع الحيوانات المعروفة

وبعد أليس هذا طبيعياً ؟ فمساحة البحار تعادل نصفا وضعف مساحة اليابسة . واذا كانت الاحياء الأرضية تعيش فوق السطح أو تغادر هذا السطح قليلا لتطير فى الهواء ، فالاحياء المائية تغشى المحيط عند سطحه وفى جميع طبقاته . وفوق قاعه . فاى عجب أن تكون أكثر بكثير من الأحياء البرية ؟ ونعرف ان عمق المحيط يتراوح بين متر وعشرة آلاف مـــتر ، هذا الى اننا الآن

« البقية علي صفحة ٣٧ »

(١) انظر العدد الخامس من الرسالة ص ٣٣

القصص

قصة سودانية

تاجوج ومحلق

ما كنت أحسب قبل ان يحدثني صديقي حمدان ، ان بجانب الغاب أكواخا تحوي جمالا ، وان في أواسط البيد جنات يرف ورد الحياة الفياح فيها ، وتتفتح اكمام العيش الهني عن زهرات من الحب السعيد والهوى البريء

لذلك لم تتهيأ لي الفرصة لركوب السفين حتى انتهزتها ميمما الجنوب الى ان رست بنا على مرسى الغاب المزعوم

وهناك انتقلت من ظهر السفين الى ظهر الهجين ، فأخذ يخب بي بين نجاد ووهاد ، تارة في رأد الضحى ، وطوراً في طفل الأصيل ، حتى انتهيت الى حيث أراد الدليل

فادرت ناظري فيما حولي من الأدغال يخفق قلبي روعة ، ويذهب لي حيرة ، وإذا بشيخ كهل قد أتزر بمئزر ، والتفع برداء ، يقول في جفاء البداوة ، وجفوة الاعراب ، ماذا تريد يازول ؟ قلت التمتع والاستطلاع ، فاربد وجهه ، وانقبض جبينه ، وكأنما الشر قد جثم بين عينيه ، فانخلع قلبي حذر ان اكون استبحت حماه ، ولكن صديقي دلف الينا بسرعة ، وحيا البدوي في حديث مرسل ينم عن سابق معرفة ، وقديم صحبة ، فهدأت نفسه وسكن غضبه ، وانبسطت أسارير وجهه ، ثم أقبل علي باشاً مصافحا

فسألت من الرجل ؟ قال : من بني عقيل بن جعفر بن أبي طالب ، قلت : وأنا من بني الحسين بن علي بن أبي طالب ، فعاد إلي مصافحا معانقا ، وكانت المصافحة حارة ، والعناق طويلا

ثم ساق رواحلنا الى كوخ من القش بجانب خيمة من الوبر ، ونادى : ياليلى ! ابن العمومة من بني هاشم شرف احياء العرب ، فبرزت ليلى من خبائها كما يبرز البدر من خلال الغيوم ، ثم قالت : يابشرى ! هذا ابن الريف ، قرة العين ، وسليل الحسين ، واطلقتها زغردة دوت في الفضاء ، فمال حمدان برأسه علي وقال : لها الله ليلى من فتاة بارعة الحسن تامة الجمال ! أنظر تر جسما مستقيما منتصباً كأنه قضيب بان ، وعينين سوداوين فيهما سحر وفيهما دلال ، وشعرا لا معقوصا ولا مضفورا وإنما هو مدلى كخيوط الليل ، ووجها تمتزج حمرته بسمرته فيبدو من امتزاجهما دم جذاب يرق حتى ليكاد يكون روحا ، وثغرا كأنما يبسم عن در ، ويفتر عن لؤلؤ

فقلت : ياسبحان الله ! أما قرأت : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم . . وكان حمد مضيفنا تجاوز الكوخ ليدعو بعض غلمانه ، فقلت لحمدان ، وكان من طبعه الانقباض ، إن كنت رجلا حقا فأطلقها ضحكة عالية في وادى الهموم ، كما أطلقتها ليلى زغردة في أجواز الفضاء . قال : كيف ؟ والمدنية الحديثة جعلت فينا أمزجة منقبضة وطبائع سوداوية ، فاضعنا نضارة الشباب في هم مبرح . ولم نتلق غفلات العيش على ما في طيها من نعم وخيرات ، كما يتلقى قطان البادية من الاعراب ، وسكان الغابات من عجائز السود ، شظف الحياة ، وضيق العيش . بصدر رحب ، وثغر بشوش

قطعت علينا الحديث خادم عجوز سوداء لليلى . أتت ولا شيء يسترها غير رقعة تحجب سوءتيها ، ثم مدت سماطا بديع النسج إلا انه مهلهل ، وعادت فأتت بمبخرة فيها عود او صندل

ثم أتى حمد وخلفه جزور فنحره ، وحمله الخدم بعد لطهيه وجاءت أقداح الشاي واستمرت تدور المرة بعد المرة ، وحمد يحدثنا بحديث عذب فيه رطانة الزنوج ، ولحن الاعراب

حدثنا انه يتصل بعرب الحمران ، وان لهم احاديث كالمسك ، في الهوى العذرى ، والحب الطاهر ، وأن منهم « تاجوج ومحلق » الذين ضربت بحبهما الأمثال ، وتحدثت عن عفتهما الركبان

قلت : ومَن تاجوج ومحلق ؟

فاجاب ، كانت تاجوج فتاة جميلة ، لم تر بلاد السودان فتاة أجمل منها الى اليوم ، وقد بلغ من جمالها ان الناس كانوا يحثون المطايا ليروها ثم يعودوا

وكان ابوها يدعى « الشيخ أوكد » شيخ القبيلة ، أحبَّها ابن عمها « محاق » وتزوجها ، وفي يوم أسكره الحب وتيمه الغرام ، فالح عليها ان تتجرد من ثيابها وتمشى أمامه عارية فامتنعت حياء ، ألح مرة أخرى فامتنعت ، ثم ألح ثالثة فقالت ، إذا أطعتك فماذا تفعل ؟

قال : أنفذ كل طلب لك

قالت : أقسم ، فاقسم ، فتجردت ومشت امامه ذهابا وإيابا . الى ان قال : كفى كفى !

ثم قال . اطلبى الآن ما تريدين . قالت : ان تطلقني فى الحال ، فطار صوابه ، ووقع على قدميها يقبلهما ويسألها العفو فابت إلا البر بقسمه ، فطلقها وهام على وجهه ينشد في حبها الأشعار كمجنون ليلى

ثم تزوجت بعد طلاقها رجلا من وجهاء قبيلتها فتأثره محلق فغلبه علي ماله ، المرة بعد المرة ثم رده اكراما لتاجوج

واخيرا اشتد عليه الكرب وأضناه الحب ، فألح على اهله ان يمكنوه من رؤيتها ، فذهبوا اليها واخبروها بحاله فرقت له ، وذهبت لرؤيته ، فاذا هو طريح الفراش وحوله نساء يتددن بها ليصرفن قلبه عنها ، فلما دخلت لم يسعهن إلا الوقوف احتراما لجمالها واعجابا بها ، واجلسنها الى جانب سريره فلما رأته على تلك الحال تنهدت وقالت :

أ إلى هذا الحال وصلت ياحشاى وانا لا أدرى ؟

ثم وضعت رأسه على ركبها وكان قد أغمى عليه ، فلما أفاق نظر اليها وانشد أبياتا منها هـــذا البيت الذى ننقله بلغته ولحنه وصورته :

« حبك فى الضمير قاطع لاكباده
تقتلى الزول سريع قبل الشهاده »

ثم شهق شهقة ومات مسلماً الروح

ثم أطرق حمد طويلا برأســه الى الأرض وعاد فنظر إلي ساهما وقال :

حدث بعد ذلك ان غزانا عرب « الهدندوه » فوقعت تاجوج أسيرة فى ايديهم فاختلفوا فيها إختلافا كاد يفضى الى سفك الدماء وأراد كل فريق ان تكون تاجوج من نصيبه

فنهض احد مشايخهم وكان حازما ، ونادى « تاجوج » من خبائها ، فلما أقبلت طعنها بخنجره في صدرها فماتت وحسم النزاع

ماتت تاجوج ، ولكنها ظلت حيــة في نفوس الذين قتلوها كما هي حية فى قلوب بنى وطنها جميعاً

ولا زال قبرها الى اليوم يزار « فى رأس النيل » بين خورجب وكسلا ، وما زال أهل السودان يضربون بها وبمحلق الأمثال

ثم جاء الطعام على عادة العرب « كسرة . ومرقة . وشواء » فكانت رغبتنا فى التهام حديثه أكثر من رغبتنا فى التهام طعامه

فقلت وهو يستطعمنى فاطعم ، ثم ماذا بعد؟ فان أعذب الحديث حديث المائدة خاصة مع العرب الاجواد

فقال : ثم إن بطنا من عرب الحران حل بهـــذا المكان القريب من هذه الغابة فانجباني أنا وليلى ، فكنت معها كمحاق مع تاجوج ، غير انها وفت لى فلم تستبدل بي زوجا ، ووفيت لها فلم أدخل عليها زوجة ، مع كثرة تعدد الزوجات فى هذا الحى الذي نتزل به

وما كدنا ننتهى من طعامنا وشرابنا وأحاديثنا حتى كانت الشمس مضيفة للغروب ، والقمر يستعد للجلوس علي عرش السماء بعدها ، فتهيأنا للجولان بالغابة ومعنا معداتنا من جراب ورماح ، وموعدنا بقية الحديث رسالة أخرى ؟

محمد البنداري
مدرس بالخرطوم

الاقيانوغرافيا

« بقية المنشور على صفحة ٣٥ »

أقرب الى حصر الأنواع الارضية منا الى الاحاطة بجميع الانواع البحرية .

الآن وقد عرفنا أغراض الاقيانوغرافيا نستطيع الحكم بانه اذا حق لهذا العلم ان يتصل بنسبه ونشأته الى رحلات جوابي البحار حتي أواخر القرن الثامن عشر ، فان عهد الاقيانوغرافيا الحقيقى لم يبدأ الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهذا ماستراه فى مقالنا التالي إذ نتابع قصــة البحار قاصرين حديثنا على بعثات الاستكشاف الأقيانوغرافى . (يتبع)

الي بئر جنـــدلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ٢ —

وبعد دقائق انحدرنا إلى ميدان المنشية وأخذنا طريقنا الى مقبرة الامام الشافعي ، وبعد أن اخترقناها أقبلنا على قرية البساتين فكانت فى سكون لا يسمع من حولها الانباح الكلاب وصرير الصراصير ، ثم مررنا بمقابر اليهود فاستقبلنا حارسها وأخبر الدليل بمرور الجمال

كان الليل باردا والسكون شاملا وضوء القمر فاترا يملأ الارجاء ، وكنا نسير فى صمت وامامنا الدليل منحن قليلا الى الأمام يجد فى السير بقدم ثابتة ونحن نتبعه ونتابعه

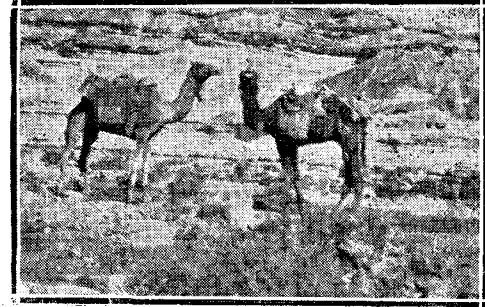
معنا السلاح والذخيرة ، ومعنا الماء والزاد ، ومعنا الدليل الخبير المجرب ، ونحن جماعة اشداء . فمم الخوف؟ - كانت تجول هذه الافكار بخاطرى وانظر الى الرفاق وهم يسيرون على هيئة الجند فتتملكنى روح زهو وفخار ، واشعر بنشاط وقوة ، فيرتفع رأسى ويتسع صدرى والاحق الدليل واتقدم الجماعة ، والنفس طافحة بشرا وغبطة . بعد ساعة مال بنا الطريق نحو الشرق ، ثم اخذنا نرتقى هضبة واخذت تتلاحق التلال وتعلو ، وقبيل نصف الليل غاب القمر وخيم الظلام واصبح منظر الوادى رهيبا موحشا ، وهنا قال الدليل : « وادى التيه ياسادة » - فى هذا الوقت كنا نتقدم فى واد متسع تعلو الهضاب على جانبيه وهو ينثنى بيننا تارة يمينا وطورا شمالا

وعند الساعة الثانية صباحا وصلنا حيث كانت تنتظرنا الجمال فى ناحية من الوادي ، وقد جلس بجانبها ســـويلم يدخن غليونه بينما انشغل على الجمال بامداد بؤرة التدفئة بالعشب الجاف ، كان قد طال بنا السير واجهدنا فاصبحنا فى حاجة الى الراحة بل الى النوم ، فاستلقينا على الارض قريبا من الجمال ثم غلبنا النعاس فنمنا

كنا نائمين فى العراء وليس علينا غطاء ، فاستيقظنا عند مالاح الصباح بعد نوم قصير واجسامنا ترتعد واطرافنا ترتجف من شدة القر ، وكانت الطبيعة هادئة وبزوغ الشمس من وراء الجبال فاتنا ساحرا ، وكنت اطيل النظر فيما حولى واسائل نفسى : أنا فى حلم ام فى يقظة ؟ فقد زال عنائى وغدوت مرحا فرحا نشطا ، وبعد ان تناولنا فطورا ساخنا بسيطا ذهبت الجماعة بصحبة الدليل الى الصيد وبقيت انا ومحمد بك لنسير مع الجمال ، وقد تواعدنا ان نلتقى ظهرا على بئر دجلة

كان الصباح لطيفا منعشا ، والشمس مشرقة ، وقد وجدت في محمد بك خير صاحب ، فقد كان لطيف المعشر حلو الحديث على علم بالصيد وطرق الجبال والاودية ، فاستأنست به ، واطمأنت نفسى اليه فاخذ يقص علىّ فى حماس ونحن نسير الهوينى خلف الجمال ماوقع له فى رحلاته السابقة من مخاطر عجيبة ، ونوادر لطيفة ، وبعد ان سرنا هكذا نحو ساعة ضاق الوادى وانتهى بنا الى هضبة عالية فارتقيناها على مهل ، وكان صعودنا على جرف فى طريق لولبى شديد الانحدار ، لايزيد عرضه على القدم ومن تحته هوة عظيمة ، وقد اجتازت الجمال هذا المنحدر الوعر من غير مشقة ، فكانت متزنة الخطوات متئدة متنبهة تحاذر السقوط او الزلل ، وبعد ساعة اخرى اخذنا نهبط واديا عظيما كثير التعاريج جدرانه قائمـــة ، وتقوم على جانبيه الرواني العالية ، والقمم الشامخة ، وقبل الظهر بساعة وصلنا بطن الوادى بسلام ، واتجه سويلم الى ناحية فيه وأناخ الجمال وأشار بيده الى كوة مرتفعة فى الجدار الجنوبي للوادى يظللها نتوء من الجبل كبير البروز ، وتكتنفها أحجار ضخمة تجعلها كالوكر فى مأمن من الرياح والأمطار ، وقال هنا نمضى الليلة ، فحملنا اليها الغطاء وبعض الحاجات وفرشنا ارضها بسجادة واعددنا فى ناحية منها موقدا جمعنا بالقرب منه عشبا جافا من شيح وشوك وطرفاء ، ثم هيأ محمد بك للجماعة طعاما دسما من لحم مسلوق وارز وخضار ، وبعد الظهر بساعة اقبل الصيادون يحملون ارنبين كبيرين وقد لفحت الشمس وجوههم وبدا عليهم التعب ، وبعد اكلة شهية تفرقنا في الوادى نتفرج على مناظره الطبيعية البديعة ، وتقع بئر دجله على عشر دقائق من معسكرنا جهة الشرق فى حضن شلال فخم يعلوه خانق جميل ، والبئر في مسقط السيل وعمقها نحو ثلاثة امتار تمتلىء بالماء وقت

الامطار ويفيض ماؤها وقت الجفاف، والوادى كثير العشب وافر الكلأ ، يسبح فى فضائه انواع من العصافير والحدأة ، وترعى فيه الابل والماعز ، وبعد الغروب عدنا الى المعسكر وقد خيم الظلام واشتد البرد وشمل الوادى سكون موحش ، وبعد العشاء آوينا الى الفراش ونمنا ملء الجفون حتى قبيل الفجر ، وكان منظر الوادى في السحر فاتنا يستهوى الأفئدة ويملأ النفس دهشة وروعة ،


من مناظر وادى دجلة

وفى الصباح الباكر توجهنا للصيد، وبقى عبد الله بك وسليمان بك للسير مع الجمال ، واتفقنا أن نلتقى عصرا على بئر جندلى

خرجنا من وادى دجلة مع بزوغ الشمس وأخذنا طريقنا فوق الهضاب وفي الأودية متوغلين شرقا لانتبع طريقا معينة ، وكان فى القيادة حسن بك وهو صياد ماهر خفيف الجسم رشيق الحركة بصير بالصيد وضروبه — وبعد قليل أقبلنا على واد وافر العشب فابصرنا أرنباً يقطع عرض الوادى بسرعة البرق يلوىء ثان وثالث ، وفي لمح البصر اختفت وراء الصخور وكان لمنظرها وهى تعدو أثر مدهش في الجماعة ، فاندفعوا وراءها لايلوون على شيء ، وفى المقدمة حسن بك ينهب الارض نهبا كأنه الجواد فى حلبة السباق . وفى لحظات توسطنا الوادى وبدأت المطاردة ، وما أن رأتنا الأرانب حتي قفزت الى وهدة ثم مرقت كالسهم الى اخدود ، ثم تسلقت الجبل ونحن فى أثرها نتبعها من غير هوادة ، نرتقى الهضاب ارتقاء ، ونلقى بانفسنا من الجبال الى السهول القاء ، واشارات القائد تقذف بنا يميناً أويساراً ، طوراً مقبلين وطوراً مدبرين ، مرة في صياح وجلبة ، ومرة فى حذر وسكوت ، تارة نعلو وتارة نهبط ، وهكذا كانت تستمر المطاردة ساعات متواليات والحيوان التعس ينتقل من ساحة الى ساحة ، يطلب النجاة وراء الصخور وفى الصدوع وفوق الربى وتحت الارض ، ونحن وراءه نحاول دفعه الى السهل وهو يأبى الا الوعر ، تقوده غريزة البقاء ، فان أخطأ المسكين التقدير وحم القضاء ضاق النطاق وعز الفرار وتلقفته نيران البنادق من كل صوب ، فيخر صريعاً ضاربا أعلى المثل فى الروغان والعناد ، والصبر على الجهاد

وقد بلغ حماس القوم فى المطاردة هذا اليوم حد الجنون ، وكاد يقضى على أحدنا ، وهو احمد بك بالموت على أبشع صورة لولا أن قدرت له السلامة ، ذلك انه اندفع وهو مأخوذ وراء غزالة فجرت الغزالة الى جرف صاعد فى جدار الجبل ، فلحق بها وأطبق عليها ولكنها أفلتت منه ، ولما انطلق وراءها انهار الجرف فهوى بجسمه من شاهق فتشبث بصخرة ناتئة وأصبح معلقا بين الارض والسماء .

« يتبع »

لغو الصيف

(بقية المنشور على صفحة ٦)

وإذا نحن نفكر فى فصل جديد او كتاب طريف ، نريد ان نكتبه او نذيعه ، وما دمنا نجد هذه القوة ، ونملك هذا النشاط ونعرض آثارنا على الناس ، ومنهم هؤلاء الشباب ، فلسنا شيوخا ولا قريبين من ان نكون شيوخاً . قالت ليهنك هذا الشباب الذى تحبه وتحرص عليه ، وتخشى ان يغتصبه منك الشبان ، ولقد كدت ارضى منك بهذا الحديث واحمد لك إحياء الامل فى نفسى لولا انى اجد من الضعف ما لا تجد ، واحس من الهزيمة ما لا تحس . فانت تكتب وتفكر فى الكتابة ، وانت تنشىء و تتهيأ للانشاء ، أما انا فلا أكتب ولا افكر فى الكتابة ، وإن كتبت فلا اكتب للناس وانما اكتب لنفسى ، ولا اتحدث الى الناس وإنما اتحدث الى نفسى . ولعلي لا أذكر الناس فى هذا الحديث وإنما أذكر نفسى . إنما أنا شيخة قبل ان ابلغ سن الشيوخ . أمحزونة انا لذلك أراضية أنا به ؟ لا أدري ، ولعلى أحزن له حيناً وأرضى عنه حينا آخر . ولكنى على كل حال لا أجد فى نفسى هذا النشاط الذى يمكنني من رفض الشيخوخة . قال فى صوت هادىء حار : كلا ياسيدتى،هذه ازمة من ازمات الشباب ليس بينها وبين الشيخوخة سبب ، وانا زعيم بأن هذا الصيف لن ينقضى حتى يتحدث الناس عنك فيطيلوا الحديث ، ويعجب الناس بك فيكثروا الاعجاب . وسأكون أنا احد هؤلاء المتحدثين وأحد هؤلاء المعجبين ولكن حديثى عنك وإعجابى بك لن يقعا من نفسك إلا كما يقع منها حديث غيري من الناس واعجابهم . قالت فانت إذن تريد الثناء . قال : كلا وإنما أريد شيئاً آخر خيرا من الثناء . أريد ان اسبق الناس الى قراءة شىء مما تكتبين . قالت دعنى ودع ما اكتب وما لا اكتب وحدثنى عن ظاهرة أخرى فى الادب المصرى ظهرت عنيفة في هذه الايام . قال وما هى ؟ قالت ألست ترى غضب الادباء من الشيوخ والشبان . قال دعي لفظ الشيوخ فليس فى أدبائنا شيوخ . فضحكت وقالت : الست ترى أن الادباء جميعاً يضيقون بالنقد ولا يحتملونه ، ولا يطيقون الصبر عليه . وكيف تفسر هذه الحدة ؟ واين تجد العلة لهذا الضيق ؟ لقد كنت اريد ان أجد فى هذه الحدة والضيق دليلا على شيخوخة الادباء ، ولكنى أراهما شائعين حتى عند الذين لا أشك ولا تشك انت فى انهم من الشبان . فهم ابغض للنقد والناقدين من كل انسان . ومهما أعجب فان ينقضى عجبى من كاتب أو شاعر ينشر نثره او شعره على الناس فى كتاب مطبوع أو فى صحيفة سيارة فيخرجه بذلك عن ملكه الخاص ، ويجعله بذلك ملكا للناس جميعاً . ثم يأبى على الناس بعد ذلك ان يتصرفوا فى ملكهم كما يريدون . قال : ان الكتاب والشعراء يسرفون على قرائهم ويكلفونهم شططاً ، فهم يغضبون ان لم يقرأهم الناس ، وهم يغضبون ان قرأهم الناس، ونالوهم بشىء من النقد ولو خفيفا . ولقد اتردد احيانا فى أن اقرأ الكتاب أو الديوان يرسله الي صاحبه ، لأنى واثق بأني قد أرى فيه غير مايحب الكاتب او الشاعر . فان سكت عنه أثمت فى حق الادب وفى حق نفسى ، ولم يرض مني صاحب الكتاب او الديوان بهذا السكوت ، وان قلت ما أرى فتحت بابا من أبواب الجدال ليس اغلاقه بالامر اليسير، ولعله لايغلق الا على كثير من الموجدة . قالت: هذا اعوجاج في أخلاق الادباء كنا ننكره على شيوخنا المتقدمين ، وكنا نقدر أن ادباء الجيل الحديث سيقومونه فى انفسهم وفى الناس ، فاخلفوا الظن ، وكذبوا الرأى ، واصبحوا خليقين ان يقومهم المقومون سواء أرضوا بذلك ام كرهوه . فهم ان يتكلم ، ولكنها مضت فى الحديث قائلة: على انهم لايضيقون بالنقد فحسب ، ولكنهم يتهالكون على الثناء ، فما اشد ثورتهم على الناقدين وما احسن لقائهم للمقرظين! قال ومع ذلك : فانى اتهم كل مقرظ ، واسيء الظن بكل تقريظ ، واعتقد اعتقاد الموقن ان النقد مهما يشتد ومهما يسرف صاحبه فهو انفع واجدي . لأن الكاتب الى ان يعرف عيوبه ويتبين مواضع الضعف فى ارائه والفاظه وأساليبه ، أحوج منه الى ان يقال له احسنت حين يحسن ، واصبت حين يصيب .

ومر فتى لم يبلغ السادسة عشرة ، صبيح الوجه رث الزي حافى القدمين يحمل سلة فيها باقات من زهر ، فوقف على الصديقين وقدم اليهما ازهاره . قال الصديق لصاحبته : اختارى . قالت اليس من الاختيار بد ؟ قال الفتى لابد من ذلك ياسيدتى فانى فى حاجة الى العشاء . هنالك اضطرب بصرها بين باقتين فى احداهما ورد ، وفى الأخري قرنفل . قال الرجل للغلام : ضعها تين الباقتين ، ثم التفت الى صاحبته وهو يقول : اما انا فاحب لثم الورد وشم القرنفل .

طه حسين

الكتب

الامواج

لاحمد الصافي النجفي

يتغنى الشاعر العراقي الفاضل في هذا الديوان بنغمات جديدة طريفة. فهو لا يسمعك مدحا في أمير أو سلطان، ولا تجد في شعره تلك العواطف المبتذلة، وليس في الكتاب نسيب يستحق الذكر. وانما يتغنى الشاعر في ديوانه هذا بانشودتين جليلتين الاولى الفضيلة والثانية الوطنية. وليس الموضوعان بالشيء الجديد، ولكنه يتناولها بطريقة جديدة، ويسمعك في الانشودتين نغمات جديدة. ولقد عاش شعراء العرب هذه القرون الطويلة وهم يحرقون فنهم بخورا أمام أصنام بشرية زائلة، ألم يأن لهم أن يقضوا قرونا أخرى يمجدون الفضيلة والوطن وهما من الموضوعات الخالدة؟

ولكي يفهم القارىء كيف يتناول المؤلف هذه الأغراض نذكر هنا القطعة الآتية:

قدكثر الفقراء ظلم ذوي الغنى — لم يكثر الفقراء حكم البارى
كم عاش قوم من طوى، قوم وكم — عمرت ديار من خراب ديار!
فلرب قصر بالجماجم مبتني — ولرب نهر بالمدامع جارى
كم يجتني ثمرا ولم يغرس، وكم — من غارس لم يجن من أثمار!
عجز الفقير عن استعادة حقه — فأحال ذنب الفقر للاقدار
أغني! لا تسخر بزفرة بائس — كم من دخان منذر بالنار

وفي الكتاب قطع وقصائد كثيرة تردد هذه النغمة وأمثالها. وكلها دليل على أن الشاعر يرى أن عليه واجبا نحو وطنه ونحو بني جنسه، وان الشعراء يجب أن يكونوا رسل اصلاح لا مجرد عصافير تغرد وتطرب، وتنشدك ما تعاني وما تكابد، وما تحرق لها من مهج، وما سال من عيونها من دمع، الى آخر ما هنالك مما تجيش به أشعار الأدب الضعيف.

وفي عدد مضى من الرسالة مقالة للاستاذ احمد أمين في أدب القوة وأدب الضعف، وبهذه المناسبة نرى واجباً علينا أن نعلن ان هذه (الأمواج) من أدب القوة..

ويتناول المؤلف أحيانا موضوعات أخرى في الوصف مثل قصيدته في (الشاي) و (الحنين إلى الطبيعة) و (الليل والنجوم). ولكن نزعة الوطنية والفضيلة هي الغالبة البارزة.

وقراء الرسالة قد قرأوا في عدد سابق قصيدة لهذا الشاعر وهي قصيدة (الفلاح). ومن يتأمل تلك القصيدة والقطعة التي أتينا بها هنا يستطيع أن يدرك مواضع القوة والضعف في أشعار (الصافي). أما مظاهر القوة فبادية واضحة، وأما مواضع الضعف فهو في نظرنا أن الشاعر — وشأنه في هذا كشأن أكثر المجددين من شعراء هذا العصر — تشغله العناية بالمعنى عن العناية باللفظ، فألفاظه لا تنهض الى مستوى معانيه إلا قليلا. ونحن نؤاخذه أنه أحيانا يهمل العبارة اللفظية الى درجة الخطا كما جاء في قصيدته (بين شاعر وصاحب فندق) ورويها هي التاء الساكنة بعد ألف المد ويقول فيها:

قد جاء رب النزل لي سائلا — يقول ماشغلك في ذي الحياة
فقلت شغلي الشعر في نظمه — أدفع عني جحفل النائبات
قال وهل بالشعر تحيا وهل — تملى به أحشاؤك الجائعات

ثم يقول:

وكنت أدعى عجميا بهم — كأنني لست ابن عرب أباة
فرحت للبدو وعاشرتهم — فلم أجد لي مشبها في البداة

ومعروف أن التاء في الحياة وأباة والبداة في الوقف تنقلب هاء.. وكذلك قد يذكر الشاعر ألفاظا كنا نود الا يذكرها مثل قوله:

أريد لثم كفها لولا اختشا عقابها

فلفظ (اختشا) ليس من الألفاظ التي يأسف الانسان على فقدها من شعره.

على أن هذا لا يحط من قدر (الأمواج) كديوان شعر عصري لأديب مفكر قوي. وانا لنرجو أن يهتم القارىء المصري خاصة بهذه الثمار القيمة التي تنضجها روح الأدب في العراق وسورية.

م. ع. م.

الورد الابيض

مجموعة أقاصيص مصرية

بقلم محمد أمين حسونة

الاستاذ محمد امين حسونه كاتب من شباب الكتاب خصب الخيال طيع القريحة لامع الذكاء جم النشاط كثير الحركة، عنى على الاخص بالجانب القصصى من الادب المصرى الحديث فعالجه في توفيق واجادة. ومجموعة «الورد الابيض» باكورة نضيرة من ربيعه المونق، جمع فيها ثلاث عشرة أقصوصة ثم سماها باسم الاقصوصة الأولى، وتقرأ هذه الاقاصيص فترى أثر مواهبه ظاهراً في وصف الاشخاص وتصوير المناظر ورسم البيئة وسلسلة الحوار، ومن خير الأمثلة على براعة فنه ودقة ملاحظته وصدق شعوره الاقصوصة الثانية (فى الواحة). فلو أنه أوتى من سلامة التعبير ما أوتى من سلامة التصوير والتفكير لكان له فى هذا الفن شأن غير هذا الشأن، وخطر غير هذا الخطر، على أن أسلوبه احيانا يرتفع الى درجة محمودة من البلاغة كقوله فى ختام «في الواحة»

«ويعود عدنان فى صبيحة اليوم التالى بعد أن أصيب بجرح عميق فى صدغه، فيفتش عن مارى فلا يجدها، ويطوف بالبادية نهارا وليلا، يسأل الرمال والحصى فلا تهديه، ويناجى النجوم والسحاب فتمر فى طريقها ولا تجيبه .... ويعثر على جوادها مصادفة ملقى الى جانب الصخور وقد طمرت الرمال نصفه الادنى .... فيدرك لأول وهلة ما حدث لصاحبته، وأى مصرع لقيت المسكينة؟ فيحاول أن يبكى فيستعصى عليه الدمع، ويتحجر الأسى فى مآقيه، ويرجع ثانية الى مقره شريد النفس كاسف البال، تلوح على محياه أمارات اليأس والقنوط ..!!»

وعسى أن يتدارك الاستاذ فى الطبعة الثانية ما وقع فى هذه الطبعة من اغلاط النحو والاملاء ومخالفة العروض فيما رواه من الابيات؟

العدد الثانى من الرسالة

تستطيع الادارة الآن أن ترسل هذا العدد لمن يطلبه من القراء بالثمن العادى

كواكب في فلك

للاستاذ توفيق وهبة

يشتمل هذا الكتاب على نحو عشر قصائد وعدة مقطوعات من الشعر؛ وعدد كبير من المقالات القصيرة مما نشره المؤلف الفاضل فى صحف مصر وسوريا. ولذلك تغلب النزعة الصحفية في كثير من المقالات، فهى عادة قصيرة لاتتجاوز صفحتين أو ثلاث، ولهذا يختار المؤلف عادة موضوعات سانحة قصيرة كموضوع (عبادة المال) أو (على سطح البحر) حيث يتكلم عن خشية الراكب متن البحار. و (تركيا والالقاب) و (التأنق والتجمل) و (الرأى العام) وهلم جرا. وقد يرى البعض أن هذه الموضوعات فى حاجة الى التوسع والتعمق، لكن المؤلف عرف كيف يلم بكل منها المامة قصيرة، ولكنها فى كثير من الاحيان لاتخلو من جمال: انظر الى قوله من مقال (خطاب عن الموسيقى).

ان الكون كله قصيدة أنشدتها الطبيعة
ان الملائكة تغني
ان الطيور تغرد
ان حفيف الاوراق والاشجار غناء
ان زمهرير الرياح غناء الغضب
ان هينمة النسيم غناء الرقة والعذوبة.

وفى الكتاب بحث فى موضوع المبارزة بشىء من التفصيل وشرح الاعتبارات القانونية للمبارزة فى مختلف البلاد. ليس هذا البحث وأمثاله أحسن شىء فى الكتاب. بل خير ما فيه هو تلك القطع الادبية، التي يصور بها المؤلف عاطفة أو فكرة أو خيالا، وكنا نود لو أسقط المؤلف مقاله عن (العرى) وعن (حفظ القلوب) فما كان يفقد الكتاب من قيمته شيئاً.

أما القصائد والمقطوعات، فمن رأينا أنها دون المقالات طبقة. والى القارىء مثالا يستطيع به ان يقارن بينه وبين ما ذكرنا له من منثور، قال يهنىء صديقا بالزواج:

بارق البشر بهيا طلعا	فابسمى ان به كل الرجا
انت رمز الطهر والحسن معا	وأبوك الندب رمز للحجى

م. ع. م

(هذا والكتاب، يقع فى ١٤٠ صفحة من القطع الكبير ومطبوع طبعا متقنا. ويطلب فى القاهرة من ادارة المقتطف وفي الاسكندرية من ادارة البصير وثمن النسخة عشرة قروش)

طبعت بمطبعة د. سباده